

روايات مصرية للخيال

تاكسي

5

الزائر

حسن الحليبي

فريق
متميزون



E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون).
لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية
قام بالتحويل لهذا الكتاب



كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما امكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج اكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين ايديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة تاكسي
العدد رقم (05)

الزائر تأليف: حسن الحلبي

مقدّمة

إن كانت هذه هي المرة الخامسة لك معي ؛ فأنت تعرفني من لقاءاتنا السابقة حتّمًا ، وتعرف أنّي (سامر رمضان) ، سائق تاكسي حاليًا ، وخبير في الأمور التقنية والإلكترونية سابقًا ، وعملت مع المخابرات العامة لمدة عامين بدلًا من السجن ؛ لما سببته من دمار بعدد هائل من أجهزة الكمبيوتر حول العالم ، ذات مرّة..

إن كانت هذه هي المرة الخامسة لك معي ؛ فأنت تعلم أنّي متزوج ، وأن اسم زوجتي (ديالا) ، وأنّ ابني (كريم) في الصف الأول الابتدائي ، وأنّ لي جازًا صحفيًا اسمه (يوسف) ، وأنّني تعرّفت بطريقة غريبة نوعًا ما على رائد الشرطة (منذر خليل) ، الذي يريد أن يكون مهمًّا بأيّ شكل ، وعلى (ديمترى) عالم الفيزياء الكيميائية الذي يعشق البوم ، المتثائب طوال الوقت ، وعلى (همام خميس) ، الممرض الذي يقول بيتين من الشعر كلّ دقيقتين..

إن كانت هذه هي المرة الخامسة لك معي ؛ فأنت تعلم أنّي قدمت استقالتى من المخابرات العامة ، وتفرغت للعمل كسائق تاكسي ، بعد أن أصبت بثلاث رصاصات في صدري بسبب إحدى عمليّاتى القديمة ، وبعد أن شعرت بالملل الشديد من كل تلك الأمور التي أشعر أنها مناسبة للأفلام أكثر من الواقع ؛ فأنا أكره المطاردات والرصاص ورجال العصابات وقضايا القتل والاعتقال ، وما شابهها من أمور لم تعد تثير حماسى..

إن كانت هذه هي المرة الخامسة لك معي ؛ فأنت تعلم أنّي نلت إعجاب (ديمترى) و (منذر) ، وأنهما أخبراني أنّي سأعمل معهما في أية قضايا جديدة لهما ، بعد افتتاح قسم المخابرات العلمية ، والذي أنا فيه مشرف على القسم التقنى.. سأعمل معهما بصورة رسمية طبعًا ، ولكن أمام الكل ؛ أنا مجرد سائق تاكسي بسيط..

أمّا إن كانت هذه هي المرة الأولى لك معي ؛ فأنصحك بمراجعة السطور آنفة الذكر ، أو الكتيبات الأربع السابقة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



١ قبل السفر..

انساب صوت (أسمهان) فى التاكسى (الكامرى) الخاص بي ، دافئًا جميلًا يبعث الراحة فى القلب ، وأغلقْتُ عينيَّ فى استمتاع وأنا أطيُرُ معها ومع صوتها وكلماتها..

هذه مطربة منفردة ، حقيقية جدًّا ، حقيقية للغاية ، إلى حدِّ أننى أنسى ما حولي وأنا أستمع إليها..

“يا حبيبى تعال الحقنى شوف اللى جralي من بُعدك“

انتزعنى من شرودى بموسيقاها وألحانها أصوات السيارات من خلفى ، فأنا أقف على إشارة مرور ، وقد نسيْتُ نفسى ، مما جعل كل من خلفى يطلق آلة التنبيه فى سيارته بكل غضب وحدة ، لأجل هذا الوغد الذى يجلس فى سيارته ، والإشارة تحوّل لونها إلى الأخضر ، مغلقًا عينيه بكلّ استرخاء مستفز!

هذا الوغد الذى هو أنا بالطبع..

أبتسم وأنطلق بالسيارة ، متجاهلاً بعض الأيادى التى امتدت لى بالإشارة الشهيرة كى أقف لهم ، ولكنى كنت على عجلة من أمرى كى ألتقى بالعزيزين ، (ديمتري) و (منذر)..

كل يوم ، تتوطد علاقتى بهما أكثر وأكثر..

كلّ يوم ، أكتشف أشياء جديدة عن (منذر).. هذا الصديق الجميل الذى اكتشفت أنه يحب (هيام) جدًّا ، وأنها تحبه أكثر مما هو يحبّها ، لكنهما يؤجلان فرصة أن نتعرف عليها حتى وقت آخر، بالرغم أن (منذر) بعد آخر مغامرة خضناها معًا ، تعرض لإصابة من مصاص الدماء النفسى ذاك ، (عبد الرحمن الخطيب)، وأيضًا لم نرها ، ولم تأت لتزوره فى المستشفى..

كلّ يوم ، أكتشف أنى لا أعرف الكثير عن (ديمتري).. فقط ما أخبرنى به ، فقط ما أعرفه عنه..

هناك غموض هائل يحيط به!

غموض قاتم ؛ وكأنه يضرب حول نفسه جدارًا عاليًا من السرية المطلقة ، يمنع لآى أحد أن يقترب منه ، أو أن يعرف عنه شيئًا ، ما لم يكن بإرادته

ومزاجه..

أفكر بهذا وأتهدد ؛ من أنا لأتحدث عن الغموض ، بعد كل ما مررت به فى الأسابيع الماضية ؟!

أتذكر بلمح البصر ؛ كل تلك الأحداث الغريبة التى مررت بها ، والتى أعادتني رغم أنفى إلى عملى فى المخابرات ، وبصدفة بعيدة عن الصدفة جداً.. صدفة تربطني مع (مونجاسا) و (دوراك) و (إيزين) ، الذين لم أعرف عنهم إلا أسماءهم ، والذين — كما يبدو — ينتمون لعالم آخر ، غريب ، بعيد ، ومتوحش!

ما هذا بالضبط ؟!

كيف يحصل هذا معي ؟! ولماذا ؟!

يجب أن أسأل نفسي هذه الأسئلة كل يوم.. يجب أن تمتلئ مدونتي الإلكترونية بعشرات الأسئلة الشبيهة والمتفرعة من الأسئلة السابقة ، فقط كي تزداد حيرتي ، وقلقي ، وتوترى ، الذى أحاول كثيرًا أن أنشغل عنه ، وأن أقنع نفسي أنه لا شيء مثير للاهتمام هنا.. كل الأمور هادئة..

أتوقف أمام شقة (ديمتري) ، ألمح سيارة (منذر) السوداء من طراز (مازدا).. أنزل من السيارة وأتجه للشقة..

بعد أن ضغطت على جرس الباب ، فتح لى (ديمتري) الباب ، بشعره الطويل ، ولحيته السوداء الرفيعة الطويلة ، وعلى وجهه ابتسامة مشرقة.. كان يرتدى الملابس السوداء المعتادة التى يحب ارتداؤها.. تعانقنا ، وكان (منذر) بعيدًا عنى قليلًا ، مع البطريق كعاداته ، يلاعبه ، ويداعبه ، ويلتقط بعض الصور معه!

شقة (ديمتري) العجيبة.. لم أر فى حياتي شبيهًا بها ، ولا أظننى سأرى.. ما زلت أشعر بنفس الدهشة التى أحسها كلما دخلت هذه الشقة ، مع كل تلك الأجهزة الإلكترونية الحديثة، والحيوانات الصغيرة الصامتة ، والأقنعة والتماثيل ، ومجلدات الكتب القديمة والمخطوطات ، واللوحات المعلقة ، وجثة (فابيو سكاشيتشى) طبعًا..

الجثة الحية!

عالم من المتناقضات عند (ديمتري)!

سألنى وهو يربت على كتفى بمرح ، بعد أن تعانقت مع (منذر) الذى اقترب وعلى وجهه ابتسامة كبيرة: — وأى رياح ألقى بك هنا يا (سامر) ؟!

قلت:

— لن أنكر أنني اشتقت إليكما رغم أننا منذ يومين التقينا بصورة عابرة قبل أن يخرج (منذر) من المستشفى بعد إصابته ، لكننى أردت توديعكما قبل السفر..

قلتها ونظرْتُ إلى (منذر) مردفًا:

—.. كيف أصبح كتفك ؟!

مدّ يده اليسرى وتحسس بها موضع الإصابة ، وقال: — أفضل قليلًا ، الحمد لله..

— ذلك الوغد أصابك فى كتفك مباشرة!

ابتسم وقال:

— من حسن حظى طبعًا..

ثم سألتنى مغيّرًا الموضوع:

—.. إلى أين قررتم الذهاب ؟ (شرم الشيخ) أم (تركيا) ؟!

— (تركيا).. وستقلع الطائرة بعد عدة ساعات..

— بلدهم رائع ، سيدهشك النظام الذى لديهم ، وطريقتهم الحلوة فى ممارسة الحياة ، وأسواقهم التى يعرف من فيها أنك من دولة عربية من مجرد النظر إلى ملامحك..

قلت بدهشة:

— حَقًّا ؟!

قال بدهشة أكبر:

— ألا تعرف هذا ؟ ألم تزرها من قبل ؟

— كلا ، هذه أول مرة..

يبتسم:

— أرجو أن تكون رحلة موفقة وأن تستمتعوا.. صدقنى ، ستكون رحلة ممتعة للغاية ، إن كانت الشركة التى ستذهبون معها من الطراز الذى يهتم بالمحافظة على الزبائن!

— أشكرك ، أرجو حقًا أن نستمتع ، وأرجو أن تكون الشركة كما تقول..

قلتُها ، قبل أن يسألنى (ديمتري) فجأة كمن تذكر شيئاً: — هل أخبرت السيد (قاسم داود) ، مدير المخابرات العلمية ، عن السفر ؟!

— بالطبع ، ولم يعترض بالتأكيد.. لا بدّ أن أذهب بزوجتى وابنى إلى مكان ليتنفسا فيه هواءً آخر ، بعد كل الأحداث الماضية التى مررنا بها ، والتى كان لها أثرها السيئ نوعاً ما علينا جميعاً ، بالذات على (ديالا)..
ثم أردفت باهتمام:

—.. ما أخبار (سراج) ؟!

— مساعد (عبد الرحمن الخطيب) ، مصاص الدماء النفسى ذاك ؟!
أهزّ رأسى بقوة موافقاً ، محاولاً بنفس الوقت ألا أتذكر شيئاً من المواجهة العنيفة مع ذلك الوغد ، وكل تلك الجثث التى وجدناها: — نعم..
يزفر بقوة ويقول ، وهو ينهض من مكانه: — نحاول قدر الاستطاعة أن ندرس صفاته وخصائصه ، وذلك الباب القاتل بالذات ، وما زالت أمامنا الكثير من الألغاز ، لكننا نحاول على الأقل..
— جيّد جدّاً.. جيّد..

يهتف (منذر):

— وماذا بالنسبة للصغيرين المسكينين يا (ديمتري) ؟! (رضا) و (على) ؟!

التفتُ بلهفة إلى (ديمتري) ، ليقول وقد تألقت عيناه ، بعد أن دار بجسده كله إلينا: — ألم أخبركما ؟!

أهتف به وقد شعرت أن هناك خبراً رائعاً: — ماذا ؟!
قال:

— لقد عدتُ إلى بيت (عبد الرحمن) ، وبحثت كثيراً بكلِّ ممتلكاته ، حتى استطعت إيجاد بعض الأوراق المخفية ، التى ساعدتنى أنا وصديقى (رياض محمود) — صاحب المخطوطات القديمة الذى استعنا به فى مواجهتنا مع ساحرات (المالكان) — على أن نبتكر محلولاً قادراً على عكس الذى حدث مع الولدين..

شهق (منذر) فى انبهار:

— هل تعنى ... ؟

ولم يكمل تساؤله ، بينما ارتجفت شفتاي وأنا أقول: — حَقًّا؟! هل سيعودان أطفالاً كما كانوا؟! وسيذهب كلُّ ذاك الشيب والملاح الكبيرة والتجاعيد عنهما؟!

أجابني فى ظفر وقد بدا عليه الاستمتاع لأنه أثار دهشتنا وإعجابنا حتى هذا الحد: — نعم.. تدريجيًّا وليس مرَّة واحدة ، مع الوقت ، سيستردان حياتهما وطفولتهما..

استرخيت فى مقعدى مبتسمًا ، مراقبًا إياه وهو ينهض من مكانه، متجهًا إلى البومة التى لم أنتبه إليها الآن..

(ديمتري) وبومته.. هذا الكائن الغريب الذى أحب شكله ، لكننى أستغرب تعلق (ديمتري) به ، أو بها!

— كيف أصبحت بومتك؟!

— كما هى.. لا جديد إلا أننى أشواق أن آخذها معى أحيانًا ، لولا ذلك القرار الذى أخذته وأخبرتكَ عنه!

رمقنى (منذر) بنظرة جانبية سريعة.. (منذر) هو الذى أخبر (ديمتري) أن يكف عن اصطحاب بومته معنا فى كل مكان نذهب إليه.. هو عالم فى الفيزياء الكيميائية وليس شخصية كرتونية سخيفة للأطفال!

أنا كنت المحرَّض بالطبع ، أنا من أخبر (منذر) أن ينقل هذه الملاحظة إلى (ديمتري) ، وأحمد الله أنه استجاب..

سألنى (منذر) بغتة:

— هل من اختراعات جديدة يا (سامر)؟!

ثم التفت إلى (ديمتري):

—.. ويا (ديمتري)؟!

ابتسمت وقلت ببساطة:

— فى هذه الأيام ، لا.. أشعر أنه يجب أن يكون هناك محفز قوى لى كى أصنع شيئًا جديدًا ، مهمة ما ، عدو خفى ، أوامر عليا، رغبة دفينّة ، خبر فى صحيفة أو فى موقع إلكترونى.. أشياء كهذه تثير فىّ الشعور بأن أذهب إلى معملى وأدواتى..

— معملك؟!

كان هذا السؤال باستغراب من (ديمتري) ، لأضحك وأقول له وأنا أنهض من مكانى: — نعم ، معملى.. هل تظننى أصنع الأسلحة أو الاختراعات الصغيرة وأنا فى المطبخ؟! أو فى غرفة النوم مثلاً؟! معملى يا صديقى هو مكتبى ، فيه أكتب فى مدونتى ، وفيه أقرأ الروايات الجديدة للمؤلفين الذين أتابعهم ، وفيه أتصفح الإنترنت وأتابع الجديد حول العالم ، وفيه أقوم بصنع ما أصنعه ، واختراع ما اخترعه أحياناً ، بدافع الضرورة أو الملل..

همّ (ديمتري) أن يقول شيئاً ، لكن فجأة ، رنّ هاتفى ، وظهرت عليه صورة (ديالا) واسمها!

ابتسمتُ فى وجهيهما وأنا أرفع الهاتف أمامهما ، قبل أن أكلّمها وأخبرها أننى قادم على الفور..

— حسناً ، لا بدّ أن أذهب..

— ابتعد عن المشاكل ، ولا تدسّ أنفك فيما لا يعينك..

كانت هذه من (ديمتري) ، أما (منذر) فقال: — أشعر أن المشاكل ستجده هذه المرة!

قالها فضحكنا جميعاً..

.. هل من المعقول أن تلاحقنى المتاعب ، حتى هُناك؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٢ مواجهة..

هبطت الطائرة فى نعومة على أرض المطار فى (إسطنبول) ، لتحكى لنا براعة السائق الذى جعلنا نشعر وكأنه يقود سيارة عادية بكل هدوء وليس طائرة فى الجو بأقصى سرعة ، بينما انفجر ابنى (كريم) فى الضحك مصفقا بيديه باستمتاع شديد ، وهو ينظر من النافذة إلى عجلات الطائرة وهى تسير بسرعة على الممر ، هاتفاً:

— انظر يا أبى ، لقد هبطنا..

ابتسمت له ، ونظرت إلى (ديالا) التى ابتسمت بوجهه بدورها، وقلت:

— نعم ، حمداً لله على سلامتنا..

صفق البعض من حولنا كما يحدث عادة فى رحلات السفر عند الهبوط ، وانبعث فجأة صوت كابتن الطائرة يهئنا بالوصول ، ويخبرنا بدرجة الحرارة والتوقيت المحلى..

نزلنا وأنهيينا الإجراءات بسرعة نحن والمجموعة السياحية التى نحن معها ، ثم جلسنا ننتظر بعض الوقت كى نستلم حقائبنا..

جلسنا ، وكالعادة انطلق (كريم) يركض حولنا ، بينما انشغلت (ديالا) بالحديث مع سيّدة من مجموعتنا ، وأنا أخذت أتأمل وجوه الجميع..

أحبّ تأمل الوجوه!

استنشقتُ نفساً عميقاً ، فعلاً.. هذا ما كنت أريده.. رحلة هادئة مع أسرتى إلى بلد جميل ، فيه الكثير من الأشياء التى يمكننا فعلها والاستمتاع بها ، وبالذات أننا مع مجموعة سياحية.. لن نقلق من نصب الشركات المحلية هنا ، فمع مجموعتنا سنذهب إلى أشهر الأماكن فى (إسطنبول) وما حولها..

أخذنا الحقائب وانطلقنا فى حافلة سياحية كبيرة إلى الفندق ، والذى يبعد بعض الأمتار عن الميدان الشهير (تقسيم) ، الذى يمتد منه شارع (الاستقلال) ، المزدهم بالناس ، والزوار ، والمقاهى ، والمولات ، والمتاجر بكافة أشكالها وأنواعها ، وبأولئك الموهوبين الذين يغنون أو يعزفون أو يرقصون على جوانب الطريق ، لكسب بعض المال..

قمنا بتغيير ملابسنا فى الفندق ، قبل أن ننزل على الفور ونتجه إلى شارع (الاستقلال) ، أنا و (ديالا) و (كريم)..

مشينا بعض الوقت ، وأخذنا عدة صور (سيلفى) سريعة مع القطار الذى يتكون من مركبة واحدة فى شارع (الاستقلال) ، قبل أن يجوع (كريم) ، ويذكرنى أنا ووالدته بأننا أيضًا جعنا وربما أكثر منه.. فى الطائرة لم نأكل شيئًا سوى تلك الوجبة الضئيلة التى لا تشبع طفلًا!

اخترنا أحد المطاعم دون معرفة سابقة به ، فقط لأنه مزدحم بالناس! ووجدنا بصعوبة طاولة عند الشرفة ، فى الطابق الثانى ، مطلة على الشارع ، وتكشف الكثير مما يدور بالأسفل..

طلبنا بعض الأطباق التى لا نعرفها ، فما فائدة أن نكون فى بلد غريب عنا بكل شىء ، وأن نطلب منه صنفًا نعرفه ونكاد نملّ منه فى بلدنا ؟ ليس هناك أجمل من تجربة طعم جديد ومختلف!

أخذت كعادتى أتأمل الناس من الأعلى ، وانطلقت عيناى تصولان وتجولان فى كل مكان ، قبل أن يستوقفنى مشهد غريب ، أثار فضولى وقلقى حتى أقصى حد..

فعلى سطح العمارة المقابلة تمامًا ؛ كان هناك شاب ، يبدو فى منتصف العشرينيات ، شاربه ضخمة وشعره أسود خشن ، ملامحه حادة ، ولمحت من مكانى أنه يرتدى معطفاً أزرق اللون ، يتناسب مع بنطاله الأزرق.. وكان يحاول أن يخفى نفسه كي لا يراه أحد..

شكله غريب.. ملامحه لا تدلّ على دولة بعينها!

لم أكن لأراه لولا الزاوية التى أجلس بها ، أعتقد أننى الوحيد الذى يراه من هذه البقعة.. ويرى قلقه واهتمامه الشديدين وهو ينظر للأسفل ، مراقبًا رجلاً ما!

حاولت أن أتجاهل الأمر وأن أبقى تركيزى مع زوجتى وابنى ، لئلا يجرنى إلى متاعب ليس لى أى علاقة بها ، لكنّ حواسى استفزتنى كي أراقبه أكثر ، دون أن أبدى شيئًا من انفعالاتى..

قالت (ديالا) وقد لاحظت شرودى وتوقفى المفاجئ عن تناول الطعام:

— (سامر) ، هل كلّ شىء على ما يرام ؟!

ابتسمت فى وجهها ، وتناولت لقمة أخرى من الوجبة:

— نعم ، نعم ، لا تقلقى..

نظرتُ إليه من جديد ، كان التحفز يبدو على وجهه أكثر ، ثم نهض مرة واحدة ، فجأة ، واختفى من أمامي!

طريقته وسرعته لم تكن تعنى إلا شيئًا واحدًا:

يريد النزول للشارع بسرعة ، كي يتابع ذلك الشخص ، الذى كان يراقبه فى الأعلى من مكانه ، قبل أن يذهب!

عقدت حاجبيَّ بشدَّة قبل أن أنتفض وأنهض من مكانى بغتة ، بطريقة أفزعت (ديالا) ، وجعلتها تقول لى:

— ماذا هناك ؟!

— إن لم أعد خلال نصف ساعة اتصلى مع (ديمتري) كي يتعقَّب هاتفى ، واذهبى إلى الفندق على الفور..

نظرت إلىَّ بذعر ، أمسكت بيدى وقالت:

— ما الذى يحدث ؟!

— يبدو أنَّه العمل ، يلاحقنى رغماً عنى حتَّى هنا!

قلتها وأنا أهرِّ كتفىَّ ، ثم انطلقت بسرعة الصاروخ ، متوجِّهًا نحو العمارة المقابلة كي أنظر فى الشارع أمامها وحولها ، بحثًا عن ذلك الرجل ، متحاشيًا أن أصطدم بالكثيرين ممن امتلأت عيونهم بنظرات الدهشة منى ومن حركتى وسرعتى!

أخذت أتلفت حولى ، أنظرُ يمناً ويسرة ، ركضتُ ووقفت على حافة مرتفعة ، ورأيتَه ، حددته بسرعة من لون معطفه الواضح..

كان بعيدًا عنى بمسافة معقولة ، ويمشى بسرعة..

اندفعت خلفه وكلِّى قلق ولهفة وتوتر ، حتَّى أصبحتُ خلفه تمامًا ، بينى وبينه امرأة مع طفلتها ، وحاولت رغم إسراعى أن تطلِّ ملامح وجهى جامدة ، لأنَّه التفت فجأة إلى الخلف كي يتأكد من أنه لا أحد يلاحقه ، على الأغلب ، قبل أن يحث الخطى أكثر نحو الذى يمشى أمامه..

كان أمامه رجل معه حقيبة بنية اللون ، لم ألمح ملامح وجهه لكن يبدو عليه أنه فى نهاية الأربعينيات أو بداية الخمسينيات ، فقد اختلط البياض والسواد بشعره..

اقترب منه جدًّا ، حتَّى صار ملاصقًا تمامًا ، خصوصًا وقد كان هناك ازدحام فى الشارع ، قرب أحد المتاجر الراقية الضخمة ، والذى تجمّع على بابه الناس ،

ربما بسبب هذه الشخصيات الكرتونية التى أمامنا ، أو بسبب عروض رائعة لديه..

توقعت أن يحدث شىء ما ، أن يقول له شيئًا ، أن يهدّده مثلاً، أن أكون مخطئًا وأن يكون هذا الرجل صديقه ويريد أن يمارس معه خدعة أو مقلبًا ما ، لكننى فوجئت — مع الزحام الشديد — بذلك الرجل يسقط على الأرض بقوة ، وقد انطلقت من فمه صرخة ألم مكتومة..

وكان مغروسًا فى ظهره سكين..

.. تمامًا عند القلب!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتبه له بعض من حولنا ، وأطلقت بعض النسوة والفتيات صرخات وهنّ يشرن إليه بعصبية وتوتر ، بينما تابعت عيناى ذلك الذى طعنه ، وجعله ينزف بعض الدماء..

نعم ، هو الذى طعنه بالتأكد..

قبل أن يختفى بين الزحام ، انطلقت خلفه ، وأخذت أركض وراءه بأقصى سرعته ، كى لا يهرب ، وأنا مطمئن أن الإسعاف سيأتى سريعًا ، مع كل هذه الأعداد الهائلة من الناس..

هذه محاولة قتل ، يعلم الله وحده إن كان سينجو منها ذلك الرجل أم لا! التفت فجأة إلى الخلف ورآنى ، وانتهتُ بهذه اللحظة أن حقيبة الرجل البنية التى كانت معه ، أصبحت بحوزة هذا الوغد! — أمسكوه..

صرخت بها بعد أن انتبه إليّ ، لكن لم يتدخل أحد ، وهو زاد سرعته أكثر ، صار يركض بسرعة ، وأنا أركض خلفه..

وفجأة اندفع فى شارع جانبى ، على بابه عربة لبيع الكستناء ، ارتطم بها وبصاحبها الذى أطلق سبَابًا ساخطًا ، واندفعت أنا خلفه محاذرًا أن يغيب عن عيني ، مسرعًا قدر استطاعته ، شاكرًا الله فى سرى أنى عدت للتدريبات فى نادى اللياقة البدنية وبناء الأجسام ، القريب من بيتى ، لأننى لم أشعر بالتعب لحظة حتى الآن ، ولم يخفق قلبى وترتفع دقاته إلى درجة مزعجة كما كان قبل عودتى إلى المخبرات العلمية..

تناقصت المسافة بيننا أكثر وأكثر ، وهو يواصل هروبه ، ممسكًا الحقيبة بيديه الاثنين بشدة ، كأنما يخاف عليها ، أو يخاف منها.. يخاف أن تهرب منه!

وقفزْتُ..

قفزت بأقصى ما لدىّ من قوة ، واستطعت على الأقل أن أكون قريبًا من ساقه اليمنى ، لأتعلق به ، ونسقط معًا على الأرض وأجسادنا تصرخ من الألم..

عاجلته بلكمة على صدغه بكلّ غضب ، ليرتد رأسه إلى الخلف.. نهضت واقتربت منه بسرعة ، ليرفع ساقه أمامي ويركلني بغتة في معدتي مباشرة.. شهقت من المفاجأة ، لينهض هو سريعًا ، ويلكمني في بطني مرة أخرى ، ويحاول أن يلكمني في أنفي ، ليجد قبضتي تنتظره وتضربه بعنف شديد على أنفه ، ثم في أسنانه ، ثم على فكه من جديد..

وقع أرضًا وقد تفجر الدم من فمه ، أخذ يزحف إلى الخلف والحقيبة معه ، يقبض عليها بذراعه اليسرى التي قرّبها إلى صدره ، ويده اليمنى يستعملها مع جسده لدفع نفسه إلى الخلف..

— لماذا طعنته ؟!

هتفت بها بالإنجليزية بكل غضب وأنا أقبض على ياقتي قميصه، وقربت وجهي من وجهه صارخًا:

—.. لماذا ؟!

اندفعت الكلمات مختلطة بالدم من بين شفثيه ، وأجابني أيضًا بالإنجليزية ، بلهجة ثقيلة ، ولكنة تركية كما أعتقد:

— أنت لا تفهم ، لا تفهم..

لكمته في معدته:

— من أنت ؟! ولماذا طعنته ؟!

يلوح لى بيده اليمنى وهو ينظر يمينًا ويسارًا كأنما يبحث عمّن ينقذه:

— أنت لا تفهم.. لقد أوقعت نفسك في ورطة يا رجل! دعني أذهب ولن أقرب منك مجددًا..

أصرخ به:

— لماذا طعنت ذلك الرجل ؟!

— كان لا بدّ أن أفعل هذا..

أصرخ بحدة:

— أخبرنى..

— تم إرسالى كى أراقبه وكى آخذ الحقيبة منه بعد أن أطعنه!

اتسعت عيناى:

— تم إرسالك؟! مع من تعمل؟! ولماذا أخذت الحقيبة منه؟! ما الذى يثير اهتمامك فى هذه الحقيبة؟! ما الذى تحتويه؟!

— هذا ليس من شأنك..

— أخبرنى.. ما الذى تحتويه؟! أموال؟! أوراق مهمة؟! ما الذى تحتويه بالضبط؟!

تمسك بالحقيبة ، وقال:

— هذه الحقيبة لنا بالأصل ، وكنت أستردها فقط.. كما أن ما فيها ليس من شأنك.. إنه شىء أكبر منك بكثير!

— وهل كل من يريد استرداد حقيبة له ، يطعن الآخرين؟!

صمت ولم يجبنى ، فاستطردت وأنا أقرب وجهى من وجهه ، وأنظر مباشرة فى عينيه:

—.. ما الذى تعنيه بأنه شىء أكبر منى بكثير؟!

لم يجبنى أيضًا ، فسألت:

—.. قبله مثلًا؟!

لمعت عيناها سريعًا ولمحت نظرة غريبة لم أعرف معناها ، لكنّها لم تكن مريحة أبدًا ، ثم تمسك بالحقيبة بشكل أكبر.. مما جعلنى أمدّ يدي كى آخذ الحقيبة منه ، لكن قبض عليها فى شراسة ، هاتقًا بحدّة:

— لا..

لكمته فى أنفه مرة أخرى وأخذت الحقيبة من بين يديه ، وهممت بفتحها لأرى ما فيها ، لكنّه فاجأنى بآخر شىء كنت أتوقعه منه.. على الإطلاق!

لقد أخرج مسدسًا صغيرًا من جيبه ، ووجهه إلّىّ وهو يهتف بكلمة لم أفهمها ، و..

وأطلق النار..

على رأسى مباشرة!

oo oo oo oo oo



٣ جريمة قتل..

نظرت (ديالا) حولها بقلق ، نظرت إلى ساعتها فوجدت أنّ أكثر من نصف ساعة مرّت ولم يعد (سامر) بعد..

(سامر) المجنون ، الذى تجاهل زوجته وابنه واندفع خلف نداء الواجب..
لا تدري كيف ، لا تعرف متى وأين ، لكنها تثق بأنه رأى ما يجعله يتحرك على الفور ودون إبطاء!

(سامر) الذى عاد رغم أنف الجميع ليعمل فى المخابرات ، العلميّة هذه المرة ، مؤكّدًا لها فى كلّ مرة أن الأمور لن تكون كما كانت فى السابق ، ولن يكون هناك هذه المرة أى تكرار للأحداث التى حصلت من قبل ، من عنف وخطورة..

كانت تعرف تمامًا أنه لا يقول لها كلّ شيء ، وأنه متفق مع صديقيه وزميليه (منذر) و (ديمتري) ألا تعرف الحقيقة دائمًا ، كى لا تكون مصابة بالذعر والهلع ، طوال الوقت!

فكّرت بهذا بسرعة البرق ، وهى تلقى نظرة قلقة أخرى على ساعتها..
أمسكت هاتفها وحاولت أن تتصل مع (سامر).. عدة مرات حاولت دون أن يجيب عليها! هنا زفرت بقوة ، ثم اتّصلت على (ديمتري) مباشرة ، فلم ينس زوجها أن يعدّل تعرفه الهاتف للاتصال الدولى ، له ولها ، قبل سفرهم:
— ألو.. (ديمتري) ؟!

أتاها صوت (ديمتري) بمرح وترحاب:

— (أم كريم).. الحمد لله على السـ ...

قاطعته (ديالا) بصوت مبحوح ، وبنبرة حادة ، حاولت قدر الاستطاعة أن تكون منخفضة:

— لا يوجد وقت لهذا يا (ديمتري) ، قبل أكثر من نصف ساعة ، اندفع (سامر) فجأة خارج المطعم الذى أتينا إليه لتناول بعض الطعام ، وأخبرنى أنه إن تأخر أكثر من نصف ساعة ، علىّ أن أتصل بك ، وأن أخبرك بأن تتعقّب هاتفه المحمول..

قالتها ، ثم أردفت بصوت مختنق:

— أرجوك تأكد أنه ليس بخطر!

هتف (ديمتري) بعصبية:

— ما الذى حدث ؟!

— لا أعرف ، رأى شيئًا ، ربما فى الشارع أسفلنا..

— هل أنتم فى شارع (الاستقلال) ؟!

— نعم..

— واندفع سريعًا إلى الخارج ، وطلب منك أن تخبرينى عن هذا فيما لو تأخر
!؟

هزّت رأسها وكأنما يراها:

— نعم ، وأن تتعقب هاتفه المحمول.. أرجوك ، بسرعة ، أخشى أن يكون قد
حصل معه شيء خطير..

حاول (ديمتري) طمأنتها ، قائلاً:

— لا تقلقى ، إنه (سامر) يا (ديالا).. على الأغلب هو بخير، وسيعود بعد قليل
ليخبرك أنه تأخر لسبب أو لآخر ، بعيدًا عن القلق والتوتر الذى وضعنا فيه..

سكت عذّة ثوانٍ ثم أردف:

—.. هل الفندق قريب ؟!

— نعم ، عدة دقائق..

— عودى إليه ، وسأحاول أن أعرف مكانه ، وربما حاولت أن أراه عن طريق
بث الأقمار الصناعية المباشر..

قالت (ديالا) بلهفة لم تستطع إخفاءها:

— حقًا ؟! تستطيع هذا ؟!

— نعم ، بمجرد تحديد مكانه ، وبمعاونة (فابيو) ، أستطيع رؤيته من الأعلى..
المهم أن تعودى إلى الفندق الآن ، وأنا سأطمئنك بعد قليل..

أغلقت (ديالا) الهاتف معه ، ونهضت سريعًا لتتجه إلى الفندق مع (كريم) ،
وقلبها ما زال يخفق ، وألف علامة استفهام ترنّ فى رأسها وعقلها:

هل (سامر) بخير ؟!

.. هل ؟!

فور أن رفع الشاب مسدسه فى وجهى وأطلق النار ، اندفع جسدى كله إلى اليمين بسرعة خرافية ، لأتفادى الرصاصة ، التى رغم حركتى وسرعتى مرّت بجانب أذنى ، واخترقت الحائط من خلفى بدويّ رهيب..

عاجلثُ الشاب وفاجأته بما لم يتوقعه..

لقد ألقيت الحقيبة باتجاهه بكل ما أملك من قوّة!

طارت وارتطمت بيده التى تحمل المسدس ، ليسقط المسدس على الأرض ، ويختل توازن الشاب للحظات ، كانت كافية لى كى أكون عنده ، وألكمه مرة أخرى ، على معدته ، وأسنانه ، وأنفه ، وعدة لكمات متتابعة على فكه ، جعلته يصرخ ، لولا يدي التى أطبقت على فمه!

كنت أعلم أن صوت الرصاصة لا بد وأن يجتذب بعض الفضوليين ، أو رجال الشرطة التركية إلى مكاننا ، لكن كان لا بد لى من أن أتصرف بسرعة..

كان يتلوى على الأرض من الألم ، وقد تكور حول نفسه فى وضعية الجنين ، لكننى اقتربت منه وأخذت الحقيبة التى أمامه ، وهممت أن أقول شيئًا لولا أنه أخرج سكينًا آخر من جيب له ، وانقض على يريد طعننى فى بطنى..

ما هذا بالضبط ؟!

هل يحمل مستودع أسلحة بين طيات ثيابه ؟!

تفاديت الطعنة وملتُ إلى اليمين فى آخر لحظة ، لكن هذا لا يمنع أنه مزق طرف قميصى.. جلست فوقه وكبلت يديه وأخذت السكين من يده ، لكنه ضرب فكى برأسه ، لأتراجع إلى الخلف قليلًا ، مما جعله يقبض على المسدس الذى كان قد وقع بجانبى مباشرة ، ويصرخ فى وجهى مباشرة بكل غضب وظفر ، وعيناه تلمعان بقوة وقسوة ، ويده تكاد تضغط على الزناد..

السكين فى يدي ، والمسدس فى يده ، وأنا فوقه ، مما جعلنى آخذ القرار الأصعب!

كان لا بد أن أطعنه فى حنجرته مباشرة لئلا أموت!

كان لا بد أن أفعل هذا ، وأن أقترّب بجسدى من جسده أكثر وأنا أفعل هذا ، ليتفجر الدم من حنجرته ، وتضغط يده على الزناد لكن بعد ما ارتخت ذراعه للحظة ، مما جعل الرصاصة أيضًا تنطلق، بعيدًا عنى..

أسلم الروح بعد أن صدر صوت كالغرغرة من حلقه ، وأنا أنظر إليه ، وعيوني متسعة وأطرافى مرتجفة ، وقد أتى بعض الدم على وجهى وملابسى..

لقد قتلته!

لأول مرة منذ زمن طويل ، أقتل شخصًا بهذه الطريقة ، وهو أمامى مباشرة..
صوت أقدام ، صوت خطوات تقترب بسرعة..
الشرطة!

لا بدّ أن أنهض على الفور ، لا بدّ أن أهرب وأن أذهب من هنا لئلا أقع فى
ورطة أخرى معهم ، دون أن يفهموا شيئًا ، ودون أن يتيقنوا من أى معلومة قد
أقولها..

نهضت ، بعد أن فتشت جيوبه وأخذت هاتفه المحمول ، وبعض الأوراق التى
كانت معه ، ومحفظته طبعًا.. ثم تناولت الحقيبة ، وركضت..
سمعتُ من يصرخ من خلفى بالتركية ، لكنى لم أفهم ، ولم أهتم، ولم ألتفت
لأرى..

لا بدّ أن أعرف أكثر:

من هذا الشاب ؟! من وراءه ؟! هل هناك قبلة فى هذه الحقيبة أم أن هناك
شيئًا أخطر ؟!

أخذت أركض بأقصى سرعتى ، والمسافة تتناقص بينى وبين من يركض
خلفى.. لحسن الحظ لم يرنى أحد فى هذه الأزقة الخلفية الصغيرة.. لا بدّ أن
من سيرانى بهذه الحالة سيدعر جدًّا من منظرى ، وأنا أركض بالحقيبة ،
وعلى وجهى وملابسى دماء ذلك الشاب الذى قتلته ، كى لا يقتلنى..

وجدت بابًا مواربًا فدخلته ، كان أشبه بمخزن مهجور ، فيه الكثير من الأثاث
المستعمل ، وأجزاء متفرقة من سيارات قديمة ، وهناك رسوم متنوعة
بالطبشور على الأرض.. لا بد أن بعض الأطفال يستخدمون هذا المكان
كملاعب خاص لهم..

رغم أنفى ابتسمت ، وجلست خلف صندوق خلفى لسيارة فى نهاية المخزن
هذا ، وأخرجت هاتفى المحمول.. هناك عدة اتصالات من (ديالا) ، وهناك
(ديمتري) ، الذى يتصل علىّ الآن ، بهذه اللحظة تمامًا ، بالحاح!
— (ديمتري).. هذا أنا..

قلتها بخفوت ، محاذرًا أن يصدر منى أدنى صوت ، فأتانى صوته هادرًا:
— أين أنت يا رجل ؟! اتصلت عليك أنا و (ديالا) بعد أن أفلقتها كثيرًا ، هممت
أن أتعقب هاتفك لأعرف أين أنت لكن اتصالى لك كان أسرع.. وها أنت
تجيب.. ما الذى يجرى ؟!

قلت ، محاولاً الحفاظ على نفس درجة الصوت:

— ثمة أمر خطير عليك أن تعرفه يا (ديمتري)..

سألنى بجدية:

— أي أمر خطير يا (سامر)؟! هل هناك مهمة سرية أوكلك بها السيد (قاسم) دون أن نخبرنا بها؟!

سكتُ قليلاً ، ثم أخبرته سريعاً بما جرى قبل قليل ، إلى أن وصلتُ إلى نقطة أننى قتلت الشاب!

— قتلته يا (سامر)؟!

— نعم ، كان على وشك أن يقتلنى.. كان على وشك أن يضغط الزناد ليفجر رأسى..

أحسست أنه أوماً برأسه متفهماً ، قبل أن يقول باهتمام وقلق:

— حسناً ، أين أنت الآن؟!

— دخلت مخزناً مهجوراً فى أحد الأزقة الخلفية ، لحسن حظى لم يأتنى أحد حتى الآن..

— لكنهم سيقومون بتمشييط المنطقة يا (سامر).. سيجدونك عاجلاً أم آجلاً!

— وجهى مغطى بالدماء ، وملابسى كذلك ، خروجى هكذا حتى لو لم يرنى أحد من رجال الشرطة ، سيكون مريباً للغاية..

قلتها ونظرت حولى ، كان بجانبى بقايا بنطال ممزق ، استعملتها لأمسح وجهى باشمئزاز.. بينما قال (ديمتري) ، وقد تغيّرت نبرة صوته ، وسمعت بالخلفية صوت يديه تجريان على لوحة المفاتيح بسرعة مدهشة ، فعلى الأغلب هو يجلس أمام حاسوبه:

— هل عرفت أىّ شىء عن هذا الذى قتلته ؟

— لا شىء ، لكن الحقيقة معى ، وأخذت بسرعة كلّ ما فى جيوبه من أوراق ، ومحفظته ، وهاتفه المحمول أيضاً ، و..

لم أكمل عبارتى ، إذ أن أصوات الأقدام صارت تماماً أمام الباب الذى يقود إلىّ ، وسمعت صوتاً صارماً يقول شيئاً بالتركية ، لم أفهمه ، لكن القصد كان واضحاً.. سيفتشون المكان..

.. وسيجدوننى!

دخلت (ديالا) إلى غرفة الفندق ومعها (كريم).. ألقت بنفسها على السرير وحَدّقت بالسقف ، وعيونها ممتلئة بالدموع..

(سامر) وفي أول ساعة لهم في (تركيا) ، اختفى عن الأنظار بعد أن قال تلك العبارة الغامضة المثيرة للقلق ، ولم يعد يردّ على اتصالاتها.. كما أنّ (ديمترى) أيضًا لم يردّ عليها مرة أخرى ، بعد مكالمتها له وإخبارها إياه بما قاله لها (سامر)..

— أين أبى يا أمى ؟!

قالها (كريم) ، وقد اقترب منها ، ومدّ يدًا مرتجفة يمسح بها إحدى دمعاتها.. رسمت بصعوبة ابتسامة على شفيتها ، ونهضت وضمته إليها.. قبلته على خديه ورأسه وقالت:

— لا تقلق ، سيعود بعد قليل..

تساءل ببراءة:

— أين ذهب فجأة وتركنا هكذا في المطعم ؟!

قالت هامسة في أذنه:

— أتاه عمل مفاجئ ، سينتهى منه ويأتينا فورًا..

يقول في تبرّم ، ملوحًا بيده اليمنى ، وقد ظهر الأسى والغضب واضحًا على ملامحه الطفلة:

— ألم يقل لنا إن هذه رحلة لنا كي نسعد بها بعيدًا عن عمله ؟! وأيّ عمل هذا يا أمى ؟! هل ذهب ليقود سيارة تاكسى في أحد الشوارع هنا ؟!

تراجعت بظهرها إلى الخلف وهى تتأمل.. رباه كم تحبه! لم تكن تتخيل أنها ستحب أبناءها حتى هذا الحد..

— لا تشغل بالك بهذه الأمور الخاصة بالكبار.. والدك سيعود بعد قليل ، لا تقلق..

ضمته إليها من جديد بعد أن قالت هذه العبارة ، وأتاها خاطر مفزع ، بأن (سامر) فى خطر..

جمّدت هذه الفكرة الدم فى عروقها ، لكنها حركت رأسها فى قوة ، وأعماقها تهتف بسؤال واحد فقط:

.. أين أنت يا (سامر) ؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

التزمْتُ الصمتَ تمامًا ، وعقلي يحاول البحث عن أيَّ مهرب ، أي فرصة للنجاة ، وأغلقت الخط مباشرة في وجه (ديمتري) ، لئلا يهتف بكلمة أو شيء ما ، يجعل الرجال الذين دخلوا المكان ينتبهوا إليّ..

أعلمُ أنني أستطيعُ لاحقًا — فيما لو اعتقلوني — أن أخرج من السجن بسرعة ، فأنا من أهم عملاء المخابرات العلمية ، بل ومسئول القسم التقني هناك ، ولا شك أن السيد (قاسم) والسيد (مراد) سيحلان الأمر دبلوماسيًا ، ويجدون لي حلًا من هذا المأزق..

لكنني كنت أعرف أن هذا الأمر سيجعل المهمة التي وضعت نفسي فيها تطول ، وأن الوقت سيمرّ ، ولا أدري حقًا ما الذي تحتويه الحقيقة ، ولا أدري من هذا الشاب ، ولا أدري أيَّ شيء!

وصول الحقيقة للشرطة التركية كافٍ بأن يهدّد أمن هذه البلاد ، بعد أن أحسستُ أن في الأمر شرًّا أو خطرًا ، أو قبلة بالأحرى ، عندما قلت هذه الكلمة ، ولمعت عينا الشاب!

أفكرُ بكلّ هذا بسرعة البرق ، ووقع الأقدام يصبح قريبًا مني جدًّا.. أغمضتُ عينيّ وكدت أن أنهض ، وخصوصًا أن أحد الرجال صار أمامي مباشرة ، ولا شك أنه يصوّب مسدسه إليّ بهذه اللحظة..

ولكن ما حدث كان مذهشًا للغاية!

فتحتُ عيني ونظرت للرجل ، كان أمامي ، ينظر للمنطقة التي أنا فيها ، وحولي ، دون أن يراني!

حافظتُ على صمتي ، وبلعت ريقى بتوتر وقد اتسعت عيناى بذهول ، لكن الرجل اكتفى بأن هزّ كتفيه ، وقال شيئًا للرجال الذين معه بلغتهم ، ثم غادروا المكان!

ما الذي حدث ؟!

هل هو أحد رجالنا ؟!

هل هو متعاون معي لسبب ربما أعرفه لاحقًا ؟!

الصمت عمّ المكان ، وخيم علىّ بالمعنى الحرفي للكلمة ، وأنا أحاول فهم ما يجري ، ليأتيني اتصال جديد من (ديمتري) ، وأنا أحاول التقاط أنفاسي..

— (ديمتري) ، لن تصدق ما حدث!

أتنتى ضحكته القوية ، الواثقة ، الظافرة:

— بل أصدق ، فأنا من فعلتُ هذا..

أكاد أن أهتف بأعلى صوتي ، لكنني أسيطر على مشاعري ، وأنا أقول بانفعال:

— ماذا ؟!

— أولاً ، استعنتُ بهاتفك لأحدد مكانك متعقبًا إشارتك ، ثم استعنت بالقمر الصناعي الخاص بالمخابرات العلمية ، بعد أن أخبرني (فابيو) أن أرسل حاجزًا كهرومغناطيسيًا يحيط بك أنت فقط ، ويحيط بجسدك أنت وحدك ، كي تكون خفيًا في المكان الذي أنت فيه!

قلت مبهورًا ، محاولًا التفكير سريعًا بالمنطق العلمي الذي يتحدث به (ديمتري):

— هذا تطبيق عملي لطاقيّة الإخفاء يا (ديمتري)!

كدتُ أراه بعين الخيال يمتط شفتيه في امتعاض ، ويقول محاولًا التقليل من شأن ما قام به:

— كلا ، يصلح هذا الأمر فقط للأجسام الثابتة.. أعتقد أنّ عليّ القيام بالكثير من التجارب والأبحاث كي تصلح الفكرة للأجسام المتحركة.. تخيل! سيكون هذا مذهلاً..

نصمتُ قليلًا ، ثم يسألني:

—.. ماذا الآن ؟!

نهضتُ من مكاني ، وقلت له متجهًا نحو الباب:

— الآن ، لا بدّ لي أن أذهب إلى مكان آمن..

— ولم ليس إلى الفندق مباشرة ؟!

— تصوّر أن تعرف (ديالا) بما حدث معي! ستجنّ! وستطلب مني أن نعود فورًا إلى بيتنا في (عمّان)! كلا.. سأطمئنّها أولاً ، ثم عليّ أن أعرف المزيد عن هذه الحقيبة ، وعن الشاب..

— معك محفظته ، أليس كذلك ؟!

أتحسس جيوبى:

— نعم..

— قم بتصويرها ، وأرسلها إلّى حاليّ ، سأبحث فى شبكة الإنترنت وفى قواعد البيانات المشتركة التى لدينا هنا ، عن كلّ ما يمكننى إيجادُه عنه..

— حسناً ، مع السلامة..

أنهىّ المكالمه معه ، وأنا أبتسم لعبقريته الشديدة ، وسرعته العجيبه بالتصرف واتخاذ القرار ، التى أخرجتنى من الموقف السيئ الذى كنت فيه ، بطريقة لم أتخيلها البتة..

أخرجت محفظة الشاب وتناولت منها بطاقته الشخصية.. كانت ملامحه فى البطاقة هادئة ليس لها علاقة بذلك الذى قتلته..

شئء مزعج أن تكون معى بطاقته الرسمية وأنا قتلته قبل قليل!

حاولت تجاهل هذا وأنا أقرأ اسمه..

(سيلجوق توران).. الاسم تركى جدّاً رغم أنى شعرت أن الشاب ليس تركيّاً ، لسبب ما! صوّرت البطاقة بهاتفى وأرسلت الصورة فوراً إلى (ديمتري) لعله يقول لى شيئاً عن الشاب..

شيئاً يفيدنى حتماً!

حسناً ، دعنى أرّتب الأوراق سريعاً فى ذهنى كى أعرف الخطوة القادمة التى يجب أن أقوم بها:

يجب أن أغتسل ، هذا أولاً ، وأن أغير ملابسى ، فما أردتديه الآن يضعنى فوراً ضمن نطاق الشبهات ، لأى شخص يرانى..

ثانياً: يجب أن أطمئن (ديالا) ، لا شكّ أنها غاضبة منى جدّاً لأنى تركتها بهذه الطريقة ، كما أنها حتماً فى غاية القلق علىّ ، وخصوصاً أننى لم أرد على أى اتصال من اتصالاتها..

ثالثاً: يجب ألا تعرف (ديالا) بما حصل معى لئلاّ تجنّ كما أخبرت (ديمتري) ، كما أن الرحلة يجب أن تتم باستمتاع كامل ، دون أن أنغص عليها أو على (كريم) هذه المتعة..

رابعاً: وهو الأهمّ ؛ ما هذه الحقيبة ؟! من الرجل الذى كانت معه الحقيبة ؟! ما الذى تحتويه بالضبط كى يموت اثنان من أجلها ؛ الرجل الذى كانت الحقيبة معه ، والثانى الذى قتلته أنا ؟!

خامسًا: من هو الشاب الذى قتلته؟! ومن هؤلاء الذين أرسلوه ليأخذ الحقيبة
!؟

أسئلة وأسئلة..

وغموض..

الكثير من الغموض!

رفعت هاتفى واتصلت على (ديالا).. وكما توقعت ، كانت فى غاية الغضب
والانفعال والعصبية والثورة ، لأننى لم أرد عليها ، ولم أطمئننها بعد أن غادرتها
سريعًا وأثرت بداخلها ألف عاصفة من الشك والقلق والتوتر والذعر!

طمأنتها قدر استطاعتي ، وأخبرتها أننى فى مهمة سرية ، أخبرنى عنها الرجل
الذى لمحته من الخارج ، ونحن فى المطعم..

— لهذا إذاً اندفعت خارج المطعم!؟

اضطرت لاختلاق قصة جديدة:

— نعم ، شككت فيه ، وبأنه من رجالنا ، وحسم هو الشك بأن لَوْح لى من
الأسفل أن آتیه فورًا..

قالت ونبرة الشكّ تطلّ بوضوح من صوتها:

— لكن لم يظهر لى الأمر هكذا ، لقد اندفعت وكأنّ كل شياطين الأرض
تركض خلفك.. وأخبرتني أن أخبر (ديمترى) أن يتعقب هاتفك فيما لو تأخرت!

أجبتها فى هدوء وبرود ، محاذّرًا أن ينقل صوتى أىّ انفعال:

— كان هذا من باب الاحتياط.. على كلّ حال لقد تمّ الجزء الأول من الموضوع
، وعليك ألا تقلقى ، أنا بخير ، وليس هناك أى خطر يتهدّدنى..

سألتنى بقلق:

— أين أنت الآن؟! ومتى ستأتى!؟

— لن آتى!

لا شكّ أن جوابى صدمها.. سكتت للحظات قبل أن تقول بعصبية شديدة:

— لكنك وعدتنا.. ماذا سأقول لابنك؟! ماذا سنفعل غدًا؟! أين ستنام أنت هذه
الليلة!؟

— (ديالا).. أنت حبيبتى ، أليس كذلك!؟

— نعم.. (سامر)..

— هل تثقين بى ؟!

تنهد وتقول:

— أكثر من نفسى.. بالتأكيد..

أطمئنها قدر استطاعتي ، وأقول بحنان ، وصدق ، وبكل حب حقيقى من القلب:

— لا تقلقى.. سأحاول إنهاء المهمة الجديدة بأسرع وقت ممكن ، لا تخافى.. خوفك هذا سيزيدنى قلقًا وتوترًا ، وأنا أحتاج تركيزًا شديدًا الآن.. أريد أن أنتهى مما أنا فيه كى آتيك أنت و (كريم) ونقضى وقتًا ممتعًا مع بعضنا.. امنحينى ثقتك الكاملة..

قالت بهدوء واستكانة:

— ما الذى تريدنى أن أفعله ؟!

— غدًا صباحًا اذهبوا مع الجولة السياحية.. أخبرى (كريم) أننى مشغول جدًّا.. ستذهبون غدًا إلى (بورصة) بالسفينة ، وستقضون وقتًا ممتعًا بقمم الجبال الثلجية هناك ، مع الأحصنة الرمادية ، وسيفرح (كريم) وأنتم بالتلفريك ، وستسعدان جدًّا أيضًا بجولة القارب السريع فى مضيق البوسفور.. ولا تنس التقاط الكثير من الصور.. وتذوق بعض البطاطا (الكومبير) أيضًا..

بعد أن زفرت بضيق ، قالت:

— كل هذا بدونك ؟!

قلت:

— سأكون سعيدًا وبقمة تركيزى بعد أن أكون متأكدًا أنكم بخير وبأمان ، وبأنكم تقضون وقتًا جميلًا.. لا تقلقى.. سأحاول أن أنتهى من كل شىء لنقضى بقية الوقت معًا ، وأخذكم إلى أماكن أخرى ، خارج الجدول المحدد لنا من قبل المجموعة السياحية..

— هل أنت فى خطر ؟!

— كلا ، لا شىء مقلق.. مهمة بسيطة لا بدّ من إنجازها ، فقط لا أكثر..

أنهيت المكالمة بعدها ، وأطلقت زفرة ارتياح عميقة رغم أننى لم أكن صادقًا تمامًا..

هكذا الوضع أفضل حتمًا.. أمامي بقية الليل ، وأمامي نهار الغد بأكمله ،
لأكتشف كل ما أريد اكتشافه ، قبل أن أخبر (ديالا) بحجة أخرى جديدة ، طبعًا
لو كان هناك ما يستدعي أن أظل بعيدًا عنها وعن (كريم)..

الآن لا بدّ أن أغادر هذا المكان ، إلى نقطة أخرى آمنة ، أرتب فيها أفكاري
بطريقة أوضح ، وبشكل عملي أكثر..

فجأة خطر ببالي أن أرى هاتف (سيلجوق) ، قبل أن أذهب من هنا ، لعلّى أجد
فيه شيئًا مهمًّا ، أو معلومة ما ، تفيدني في أن أتوجه إلى المكان الصحيح
الذي يجب أن أكون فيه..

غريب!

الهاتف جديد ، من طراز (سوني).. لا يوجد فيه أى اسم فى قائمة الأسماء ،
ولا يوجد فيه أى صورة بالاستوديو..

لا يوجد فيه إلا رسالة واحدة فى صندوق الوارد ، لا شكّ أنه نسي أن يحذفها ،
بسبب السرعة أو الارتباك!

ابتلعت ريقى وأنا أفتح الرسالة ، وقرأت عيونى برعب ، كلماتها القليلة
المكتوبة بالإنجليزية ، وخفق قلبى بشدّة ، كما لم يخفق منذ زمن طويل..

كانت الرسالة تقول باختصار:

« تغيرت الخطة.. اقتله وتعال بالحقيبة إلى فندق (ستان).. ننتظرك هناك تمام
الساعة الحادية عشرة ليلاً.. السيد (توران) يريد تفجير كلّ من بالمؤتمر الذى
سيقام خلال يومين »!!

oo oo oo oo oo



٤ (سيلجوق توران)..

انهمك (ديمتري) بالبحث عن أى معلومات متعلقة بصاحب الصورة التى أرسلها (سامر) له منذ دقائق ، وقلبه ينبض بقوة ، وعينه تجرّان على كلّ ما يظهر أمامه على الشاشة..

كأن هذا وقتك يا (سامر)!

تذهب لتقضى بعض الوقت فى (تركيا) مع أسرتك ، لكنك يدل من هذا ، تطارد شخصًا شككت بتصرفاته ، لتقتله ، بعد أن رأيته يقتل رجلًا آخر ، يملك حقيبة بنية اللون ، لا تدرى أصلًا ما الذى فيها!

ما الذى قد يحصل الآن ؟!

ما الذى تحويه هذه الحقيبة اللعينة ؟!

هل مات صاحبها بعد الطعنة ؟!

هل يعى (سامر) ما الذى يفعله بالضبط ؟!

هل من الضرورى أن يعرف (منذر) ؟!

عند هذه النقطة من التفكير أحس (ديمتري) أن (منذر) يجب أن يعرف بما حدث.. لا أحد يعرف حتى الآن ما الذى حدث لأنّ الأحداث صارت خلال الساعة الماضية! الأحداث طازجة جدًّا ، وهو مع (سامر) و (ديالا) فقط ، الذى يعرفون ما حصل بشكل عام..

رفع (ديمتري) هاتفه واتصل على (منذر) ، مغمغمًا بقلق: — (منذر) ، أين أنت ؟!

أتاه صوت (منذر):

— عدت إلى المنزل ، ثمة مناسبة عائلية يجب أن أكون فيها مع والدتى ، و..

قاطعه بحزم ، مواصلاً العمل على حاسوبه ، بسرعة وإصرار: — تعال فورًا إلى شقتى يا (منذر) ، إن (سامر) بخطر شديد ، ويجب أن نكون معه بهذه اللحظة.. لا تضيع المزيد من الوقت..

بدهشة شديدة:

— ماذا ؟!

— إنه فى خطر شديد يا (منذر).. زوجته وابنه لا يعرفون أى شىء عنه ، وحتى أنا لا أعرف الكثير سوى ما قاله لى.. لقد حدث معه شىء ما هناك ، واضطر أن يقتل رجلًا ، و..

قاطعه صوت (منذر) حاملًا دهشة الدنيا كلها:

— يقتل رجلًا ، وهو فى رحلة عائلية مع أسرته ؟! هل هذا حقيقى يا (ديمتري) ؟!

— تعال فورًا ، ثمة ما يجب أن ...

قالها (ديمتري) ثم صمت على الفور ، بعد أن أطلق شهقة عنيفة ، وهو يحدق فى شاشة جهاز الحاسوب ، قافرًا من مقعده بحركة عصبية ، تحمل كل التوتر الذى فى العالم..

— ماذا هناك يا (ديمتري) ؟! ماذا هناك ؟!

صرخ بها (منذر) بذعر هائل لا يتناسب مع شخصيته ، وهو يتجه نحو سيارته بأقصى سرعة ، بينما أجابه (ديمتري) بصوتٍ مرتجف: — الشاب.. ذلك الشاب.. الذى قتله (سامر)..

— ما به ؟!

تمتم (ديمتري):

— لن تصدّق! لا بدّ أن تأتى لأخبرك! لا بدّ!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بهذوء ، خرجت من المخزن المهجور بعد أن أرهفت السمع وتأكدت أنه ليس من أحد فى الخارج.. جيد جدًّا..

أدرت عينيّ يمينًا ويسارًا ، ولفت نظريّ أجمل شىء.. فعلى البعد مئى كان هناك شىء أشبه ببطانية ، ينام تحتها رجل.. متشرد هو.. ولا شك أنه من أولئك الأتراك المظلومين جدًّا ، والذى لم ينالوا حقهم ، ودهستهم الحياة..

أعتقد أنه استيقظ بعد كل تلك الفوضى ، وصوت الرصاص ، ورجال الشرطة ، ولكّنه بعد ذلك عاد إلى نومه وقوقعته.. لا شك فى هذا.. خصوصًا وقد ظننت لوهلة أنه ثمل.. الآن لا أشك بهذا الأمر ، الرائحة تؤكد أننى كنت على حق!

اتجهت إليه بثقة ، أيقظته من نومه بعد أن حرّكته بيديّ أكثر من مرّة.. أجفل واستيقظ واتسعت عيناه حتى آخرهما وهو ينظر إلّى.. كنتُ طبعًا قد مسحت كل الدماء التى على وجهى ، وكنت خلعتُ ملابسى التى عليها الدماء..

استعملتُ أحد الملابس الداخلية التى أرتديها بعد أن قمت بتمزيقها ، مع بعض الماء الذى وجدته فى زجاجة بالمخزن المهجور..

باختصار ، كان شكلى مقبولاً ولا بأس به ، بالنسبة لمتشرد مثله ، لا يعير الذوق والألوان أدنى اهتمام..

نهض مرة واحدة وتراجع بجسده إلى الخلف ، وقال بعض الكلام بالتركية التى لا أفهمها طبعًا.. لم أقل شيئًا.. ابتسمت بوجهه وأخرجت بعض الأوراق المالية ، وأشرتُ إلى ملابسه ، وأشرتُ إلى المال!

فهمنى وابتسم ، ولم تمض دقائق حتى كنت أبتعد عن المكان ، معى الحقيبة ، مرتديًا ملابسه ، التى وبحمد الله لم تكن قذرة ، ولم تكن مثيرة للشك ، بأى حال من الأحوال..

خرجتُ إلى الشارع الرئيسى ، معى الحقيبة ، أشرت لسيارة تاكسى وركبتُ بها ، ولم أقل سوى كلمة واحدة بالإنجليزية: — فندق.. (تقسيم)!

أتنى نظرتة المتسائلة عبر المرأة الداخلية.. حتمًا هناك عشرات الفنادق فى تلك المنطقة.. لوّحت بيدي مكرّرًا: — فندق.. (تقسيم)!

ابتسم وتحركت السيارة بى نحو (تقسيم) ، وفى عقلى تموج عشرات الأسئلة.. مئات الأسئلة.. آلاف الأسئلة.. فليأخذنى إلى أى فندق شاء.. لا يهم..

ما يهمنى ؛ ماذا بعد أن عرفت بشأن القنبلة ؟!

أى قنبلة هذه ؟!

لماذا لم أجرؤ على فتح الحقيبة حتى الآن ؟!

أى مؤتمر هذا ؟!

أى تفجير الذى سيطيح بمؤتمر ، وبكلّ من فيه ؟!

هل أداة تفجير المؤتمر ، معى الآن ، فى هذا التاكسى ؟!

ما الذى يحدث بالضبط ؟!

ما الذى ورطت نفسى فيه ، كما قال لى (سيلجوق) ، وكما نصحنى أن أبتعد ، قبل أن أقتله ؟!

.. ماذا ؟!

أنهت (ديالا) الاتصال مع (ديمتري) ، ودسّت نفسها فى الفراش مجددًا ، بعد أن أمسكت جوانب رأسها بيديها ، وأطلقت زفرة حارة ، من أعماق أعماقها..
هى ليست بحاجة إلى كل ذلك الضغط النفسى..

هى ليست بحاجة إلى كل ذلك التعب والإرهاق..
لقد طمأنها (سامر) عبر الهاتف قبل قليل ، وأخبرها أن الأمر مهمة أخرى له ، وأن عليها ألا تقلق.. لماذا إذًا كلمها (ديمتري) وأخبرها أن عليها ألا تقلق أيضًا ؟!

عندما يخبرك أحدهم ألا تقلق ، فهذا طبيعى.. أما أن يخبرك الاثنان ، وأن يكون صوت الثانى باردًا ويحمل رائحة غير مريحة ؛ فهذا بحدّ ذاته أمر بارد وغير مريح..

أبدًا!!

نظرت إلى (كريم) النائم.. ماذا سيحدث لك يا بنى ، عندما تكبر ، وتعرف أن والدك ليس سائق تاكسى ، بل رجل مخابرات من الطراز الأول ، بل ومرتبطة بماضٍ غامض ، غير معروف ، أركانه كلها مجهولة ، مثيرة للخوف والفرع ؟!

تنهدت ، وزفرت بقوة ، أغمضت عينيها وهى تدعو الله بسرّها أن يوفّق زوجها ، وأن يحميه ، وأن يبعد عنه الأخطار ، والسوء ، وكلّ من يحاول أن يضرّه..

قبل كلّ شيء ، وبعد كلّ شيء ، لن تفعل سوى ما قاله لها زوجها: ستذهب مع الجولة السياحية ، وستحاول أن تقضى وقتًا ممتعًا مع (كريم) ، دون أن تفكر بأى شيء آخر!

لكنها ، هناك ، فى داخلها ، كانت شبه متيقّنة أنّ ما قيل لها شيء ، يختلف عما يحدث بالفعل مع (سامر)..

.. يختلف تمامًا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان باب شقة (ديمتري) مفتوحًا عند وصول (منذر) إليه ، الذى اقتحم الباب ، ودخل هو يلهث ، محدّقًا بوجه (ديمتري) ، الجالس على المقعد الطويل ، فى الصالة..

— ماذا هناك ؟!

رفع له (ديمتري) الهاتف المحمول ، والتى تحمل صورة البطاقة الشخصية ، التى أرسلها (سامر) إليه: — هذا..

— من هذا؟!

ناوله الهاتف:

— هذا (سيلجوق توران)..

أخذ (منذر) الهاتف منه ، وتأمل الصورة قليلاً ، قبل أن يقول بلهجة حذرة: —
الشاب الذى قتله (سامر)؟!

— نعم..

يهتف (منذر):

— ما به ؟! أخبرنى يا (ديمترى).. ما به ؟!

— إنه ابن (توران باموق)!

أطلّ التساؤل من عيون (منذر) ، الذى لم يعرف صاحب هذا الاسم ، ولم
يسمع به فى حياته مطلقاً..

— حسناً ؟! ومن هذا أيضاً ؟!

صمت (ديمترى) قليلاً ، ازدرد لعابه بصوت مسموع ، قبل أن يقول ببطء ،
ناظرًا إلى (منذر) مباشرة: — زعيم المافيا المنظمة ، فى (تركيا) كلها!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ارتفع صوت أقدام تجرى فى ممر طويل ، مزدان بالتحف العتيقة واللوحات
الملونة الفاخرة ، والسجاجيد الإيرانية الفخمة ، قبل أن يظهر صاحب الأقدام
، الرجل قصير القامة ، عريض المنكبين كالملاكمين ، ذو الشعر القصير
واللحية القصيرة ، والعوينات الطبية بدون إطار ، والذى وصل إلى آخر الممر
، حيث يقبع باب خشبي ضخم بانتظار أن يطرق عليه..

طرق الباب بهدوء ، قبل أن يأتيه صوت غليظ من الداخل: — ادخل يا
(شاهين)..

دخل (شاهين) إلى الغرفة سريعًا ، وأغلق الباب خلفه.. الغرفة واسعة ، أقرب
إلى مكتبة عملاقة فيها آلاف الكتب ، وفى الوسط تمامًا مكتب كبير ، بنى
اللون ، يجلس خلفه رجل ضخم الجثة ، أصلع الرأس ، حليق الوجه ، ملامحه
وسيمة وإن بدا عليه أنه تجاوز الستين من عمره ، وقد عقد حاجبين كثين ،
وشبك يديه تحت ذقنه ، مائلًا بجسده إلى الأمام قليلًا..

— هل من جديد يا (شاهين) ؟!

أطرق (شاهين) برأسه ، ونظر إلى الأرض ، قبل أن يقول بصوت خافت: —
لقد فشلت المهمة سيد (توران).. لم يستطع (سيلجوق) أن يحضر الحقيبة لنا
بالوقت المناسب..

نهض (توران) من مكانه ، ودار بجسده حول المكتب قائلاً: — لماذا؟! هل
هرب (أورهان)؟!
— كلا ، سيدى..

أكمل (توران) وكأن (شاهين) لم يقل شيئاً:

— إنه رجل كبير في السن ، و (سيلجوق) شاب ، والمهمة أسخف من
السخافة ذاتها.. عليه أن يقتله وأن يأخذ الحقيبة منه ، ما الذى حدث؟!
ابتلع ريقه دون أن يرفع رأسه عن الأرض:
— سيدى..

عقد (توران) حاجبيه أكثر ، واقترب من (شاهين) حتى صار أمامه تمامًا ،
وقال: — نعم..

— لقد تدخل رجل ما ، لا نعرف من هو ، ودار بينه وبين ابنك (سيلجوق) ،
مشاجرة عنيفة ، انتهت بمقتله..
ابتسم (توران):

— مقتل الرجل؟!

تراجع (شاهين) إلى الخلف بضعة سنتيمترات ، قبل أن يهزّ رأسه نفياً: —
مقتل (سيلجوق) ، يا سيدى!

اتسعت عينا (توران) بضع لحظات ، قبل أن يصرخ بصوت مرتفع جمّد الدماء
بعروق (شاهين) ، ويقفز نحو هذا الأخير ، ليلكمه على فمه فى عنف ، مفجراً
الدماء من أسنانه ، ملقياً به نحو الأرض بكلّ قوة.. وقع (شاهين) أرضاً وهو
يصرخ من الألم ، قبل أن ينقض عليه (توران) ، ويرفعه بذراع قوية واحدة ،
وهو يقول: — ما الذى تقوله أيها اللعين؟! مات (سيلجوق)؟!

قال (شاهين) محاولاً السيطرة بذراعه اليسرى على نزيف أسنانه: — الرجل..
قتل (سيلجوق).. وهرب بالحقيبة! هرب بالحقيبة يا سيدى!

تركه (توران) فجأة ، فهوى وسقط على الأرض مجدداً ، وهو يحدق فيه بعينين
متألمتين ، خائفتين..

(توران باموق).. زعيم المافيا التركية ، التى يخشاها الجميع ، والتى تتعاون بشكل مفضوح علنًا مع المافيا الإيطالية ، دون أن يجرؤ أحد على إيقاف نشاطاتها التى تبدأ بالخمير والقمار ولا تنتهى عند الاتجار بالبشر وصناعة الأسلحة..

(توران باموق).. والذى تهابه الشرطة بشكل مذهل ، أكثر من رئيس الوزراء نفسه!

اقترب منه (باموق) ورمقه بنظرة حادة ، مما جعله يقف سريعًا ويطرق بالأرض مجددًا ، وقال له بكل صرامة وشراسة: — (شاهين).. أريد أن تجدوا لى هذا الرجل..

— حسنًا يا سيدى ، بالتأكيد..

بنفس الصرامة والشراسة:

— وأريد أن تجدوا لى الحقيقة أيضًا.. هذا ما يهمنى الآن.. هل تفهمنى يا (شاهين)؟!

أوماً (شاهين) برأسه ، بينما نظر هو إلى ساعته ، وأردف: —.. يبدأ المؤتمر ظهر بعد الغد ، أمامنا أقل من يومين.. يجب أن نجد الحقيقة ، وأن نجد الرجل الذى قتل (سيلجوق)..

أوماً برأسه مرة أخرى قبل أن يسأل بحذر:

— واجتماعنا بعد ساعتين فى فندق (ستان) يا سيدى ؟!

— قم بإلغائه بالطبع.. أريد ما أخبرتك إياه..

— ثمة أمر آخر يا سيدى..

صرخ به:

— ماذا هناك أيضًا ؟!

— هناك كاميرا فى الشارع حيث قتله الرجل ، يا سيدى..

التفت إليه (توران) بجسده كله ، هاتقًا بلهفة: — كاميرا ؟!

ابتسم (شاهين) رغم الدم ، والألم ، وقال بنبرة أعلى: — نعم.. كاميرا.. وسنرسل أحد رجالنا ليأخذ لنا نسخة من الشريط المصور ، وسنحضره إليك يا سيدى.. لا تقلق..

قالها ، وانحنى ، وتراجع قليلاً ، ثمّ اندفع خارج المكتب بأقصى سرعة ، وعينا سيده تتابعانه حتى أغلق الباب خلفه..

ورغم موت (سيلجوق) ، ورغم اختفاء الحقيبة التى تحوى شيئاً مهماً للغاية ؛ ابتسم (توران)..

سيجدون من قتل ابنه ، وسيجدون الحقيبة..

.. وسينتقم بشدّة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٥ المزيد من الغموض..

الثامنة صباحًا..

نهضتُ من السرير فجأة وكأن أحدهم على وشك أن يخنقنى.. نظرتُ حولي وأنا آخذ عدة أنفاس متتابة ، ما زلت فى غرفة الفندق فى (تقسيم) ، بعد أن اختاره لى سائق التاكسى الذى ركبت معه أمس ، على مزاجه..

الغرفة مريحة ، والسرير لطيف نوعًا ما.. نمْتُ بملابسى نفسها التى اشتريتها من المتشرد..

أول ما أردت فعله فور خروجى من الحمام ، كان اتصالى مع زوجتى ، واطمئناني عليها ، بعدما فتحتُ هاتفى الذى كان مغلقًا طوال الليل ، بسبب انتهاء بطاريته ، والذى أيضًا كان يشحنُ بهذه الفترة كلها..

جيد جدًا ، ها هى الآن فى مطعم الفندق ، تفتطُر مع (كريم) ، الذى عاتبنى قليلًا عبر الهاتف ، وحاولت قدر الاستطاعة أن أطمئنه وأهدئه ، وأعدّه بيوم جميل ممتع مع والدته فى منطقة (بورصة) الجميلة جدًا ، كما سبق وأن رأيته فى صور وفيديوهات..

أنهيْتُ الاتصال معهما ونظرتُ إلى الحقيبة المستفزة ، التى أمامى على الطاولة ، بجانب السرير..

أخذت نفسًا عميقًا ، وتناولتها ، وجلستُ على السرير ، وبكلِّ هدوء ، فتحتها ، وأخذتُ أخرجُ ما بها..

كان هناك بعض الأوراق ، فيها كلام مكتوب باللغة التركية كما هو واضح ، وصورة ملونة للرجل المطعون ، قلبتها فإذا بالخلف مكتوب بالإنجليزية (أورهان أوزرلى).. هذا اسمه إدًا ، هذا الذى لا أعرف عنه أى شىء ، إلا أنه بالمستشفى منذ طعنه الوغد (سيلجوق) ، والذى كانت معه الحقيبة..

وبالإضافة للأوراق ، والصورة الملونة ، كانت هناك علبة متوسطة الحجم ، سوداء اللون ، وكان فيها ثقب لمفتاح.. لم أهتم بل على الفور أدخلت مفاتيحى فى الثقب ، وأخذت أدور المفاتيح واحدًا تلو الآخر ، يمينًا ويسارًا ، دون جدوى..

نهضتُ إلى المطبخ ، تناولت سكينًا ، ومع بعض الجهد ، انفتحت أمامى العلبة.. حدقتُ بعينى فى هذا الذى أراه أمامى ، داخلها..

ما هذا ؟!

.. مات اثنان ، لأجل هذا الشيء ؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أغلق (منذر) باب شقة (ديمتري) وراءه ، ودلف إلى الداخل سريعًا ، ليستقبله هذا الأخير ، وهو أمام حاسوبه..

بادره فورًا:

— هل كلّمت (سامر) ؟! هل أخبرته عن (توران باموق) والد (سيلجوق) ؟!

أمسك (ديمتري) هاتفه المحمول ، وقال مشيرًا إلى شاشته: — كلا ، هاتفه بقي مغلقًا طوال الوقت ، ووصلتني رسالة آلية قبل قليل تفيد بأنه فتح هاتفه.. لكنني لم أتصل به قبل مجيئك ، أردت أن نكلمه معًا..

جلس (منذر) على أول مقعد قريب منه ، وقال مشيرًا له بيده: — حسنا ، اتصل به إددًا..

نهض (ديمتري) وأجرى اتصاله سريعًا ليأتيه صوت (سامر) بلهفة: — كنت على وشك أن أتصل بك يا (ديمتري)..

— لماذا كان هاتفك مغلقًا ؟!

قال (سامر) ببساطة:

— فرغ شحن البطارية ، لكنني شحنت الهاتف طوال الليل.. أعرف أنني أثرت قلقكما..

تمتم (ديمتري):

— جيد.. جيد..

تساءل (سامر) بفضول:

— هل (منذر) عندك ؟!

قال:

— نعم عندي..

تساءل (سامر) بفضول أكبر ، وقد عقد حاجبيه: — ماذا هناك يا (ديمتري) ؟!

صمت (ديمتري) قليلًا ، قبل أن يتنهد بعمق ، ويقول: — (سيلجوق)..

سأله بسرعة:

— ما به ؟!

— والده هو (توران باموق)..

صمت (سامر) قليلاً ، أدار الاسم عدة مرات فى رأسه ، قبل أن يقول: —
حسناً ، من هذا بالضبط ؟!

أجاب (ديمتري):

— إنه زعيم المافيا المنظمة فى (تركيا) كلها يا (سامر)!

صمت (سامر) بعد هذه العبارة ، ومنحه (ديمتري) الفرصة لبعض التفكير ،
فلم يقاطعه ، و (منذر) نهض من مكانه يستفسر بالإشارات من (ديمتري) عن
جواب (سامر) ، دون أن يظفر بأى جواب إلا الصمت..

قال (سامر) بحزم:

— ما حصل قد حصل ، والأمر أخطر من مجرد أن يكون والده هو زعيم
المافيا المنظمة فى (تركيا).. هناك ما هو أخطر..

فتح (ديمتري) مكبر الصوت وقال:

— أخبرنا بهذا الأمر الأخطر ، لقد فتحت مكبر الصوت كى نسمعك أنا و
(منذر)..

قال (سامر) فى سرعة ، محاولاً الحفاظ على هدوئه: — وجدت بصندوق
الرسائل فى هاتف (سيلجوق) رسالة نصية واحدة ، ربما نسى أن يمسحها
بسبب السرعة أو غير ذلك.. المهم أنها تقول: « تغيرت الخطة.. اقتله وتعال
بالحقيبة إلى فندق (ستان).. ننتظرك هناك تمام الساعة الحادية عشرة ليلاً..
السيد (توران) يريد تفجير كل من بالمؤتمر الذى سيقام خلال يومين »!!

شهق (منذر) بقوة:

— تفجير كل من بالمؤتمر ؟!

بينما قال (ديمتري):

— رباہ!

غمغم (منذر):

— السيد (توران) الذى هو والد (سيلجوق) طبعاً..

قال (ديمتري) وهو يهز رأسه:

— نعم ، طبعاً..

أكمل (سامر) وكأنه لم يسمعهما:

— لكن هناك ما هو أغرب ، وربما أشدّ خطورة من الرسالة أيضًا يا (ديمتري) و (منذر)..
انتبهت كل حواسهما إليه ، وهتف (منذر) وهو يكاد يخطف الهاتف من بين أصابع (ديمتري): — ما هو ؟!

— لقد فتحت الحقيبة!

قال (ديمتري):

— ووجدت فيها القنبلة ؟!

أجاب (سامر) ، بكل حيرة:

— وجدت فيها علبة زجاجية صغيرة مغلقة بإحكام ، بها سائل غريب لم أعرفه ، أزرق اللون!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انطلق اليخت الكبير الذى يحمل مئات المسافرين ، وبعض السيارات ، يشق البحر بين (إسطنبول) و (بورصة) ، وعلى متنه (ديالا) و (كريم) ، الذى نسى كل شيء ، وانشغل باللعب مع بعض الأطفال ، محاذرين أن تسقط فى الماء..
وبينما هم يضحكون ويستمتعون بوقتهم ، جلست (ديالا) على مقربة ، بيدها كوب من عصير البرتقال الطازج ، تحتسى منه رشقة كل حين ، وهى تتحدث مع تلك السيدة المصرية ، من (القاهرة) ، والتى جاءت هنا مع زوجها وأطفالها ، أيضًا لتغيير الجو، والحالة المزاجية بشكل عام..
تتحدث المرأة ، وترجع رأسها إلى الخلف وتضحك ، وتضحك معها (ديالا) ، وتحدثها المرأة عن زوجها الصيدلانى ، وكيف عانى كثيرًا كى يشقا طريقهما..
وتحدثها (ديالا) أيضًا عن (سامر) سائق التاكسى ، وكيف أنها مهنة ممتازة فى (الأردن) ، أفضل بكثير مما يتخيل أى أحد!

تبتسم المرأة ، وتبتسم (ديالا)..
تتكلم المرأة فى كل شيء ، وتتكلم (ديالا) معها ، وعقلها هناك ، مع (سامر)..
عقلها هناك ، وتفكيرها ، وكيانها كله..
.. ما الذى يفعله الآن ؟!

اندفع (شاهين) عبر الممر إلى أن وصل إلى باب غرفة المكتب التى يجلس فيها (توران) ، دق الباب مرتين بعد أن تجاوز الحارسين الضخمين الذين لم يلتفتا إليه ، ولم يعرهما هوأى اهتمام..

— سيدى..

قالها بخفوت ، وهو يدلف إلى المكتب ، لينهض (توران) بجسده الضخم من وراء الطاولة ، ويقول: — هل من جديد عندك يا (شاهين) ؟!

اقترب (شاهين) منه وعلى وجهه ابتسامة ظافرة ، مع التماعة تشى بالفرح فى عينيه ، وقال: — نعم يا سيدى ، بالتأكد..

وجلس على الكرسي المقابل له ، ومدّ له عدة أوراق ملونة ، دون أن يتكلم.. أوراق فيها عدة صور ، يظهر فيها (سامر رمضان) ، وهناك صورة مقربة جدًّا لوجهه!

تناول منه (توران) الصور ، وأخذ يتأمل وجهه وهو يمشى ببطء ، بينما قال (شاهين): — لم نواجه أى صعوبات يا سيدى بأخذ الصور وطباعتها ، اقتحمنا المكان منذ ساعة وأخذنا كل شىء ، ولم يعت..

قاطعه (توران) فجأة بصرامة:

— هذا لا يهمنى..

انكمش (شاهين) فى مقعده كالفأر ، بينما ألقى (توران) الأوراق فى الهواء ، مستطردًّا بصوت هادر وهى تتساقط من حوله على الطاولة وعلى الأرض: — لا يهمنى سوى أن تجدوه وأن تجدوا الحقيبة يا (شاهين) ، لقد قتل (سيلجوق) وسيعيش عذابًا هائلًا بسبب هذا ، كما أن المؤتمر غدًا يا (شاهين)..

وضرب بقبضته على الطاولة ، صارخًا ومكرًّا بغضب هائل: — المؤتمر غدًا يا (شاهين)!

انكمش (شاهين) فى مقعده أكثر دون أن يتفوّه بكلمة ، ليقترّب منه (توران) ، ويقول بصرامة ، ناظرًا إليه مباشرة ، بعد أن أخذ شهيقًا عميقًا: — صورهِ لديكم ، تستطيعون أن تعرفوا اسمه ، وأن تعرفوا كل شىء عنه.. أريده يا (شاهين) اليوم.. وأريده حيًّا بالطبع ، هل تفهمنى ؟! أريده حيًّا!

نهض (شاهين) ، وقال ناظرًا للأرض بخضوع:

— حَيَّا.. بالتأكيد يا سيدى.. رجالنا الآن يتحرّون عنه ، وسيصلنا كل ما نحتاج إليه من معلومات خلال عدة ساعات.. لا تقلق، سنحضره إليك ، وسيكون حَيَّا..

— والحقية يا (شاهين)..

— نعم ، والحقية يا سيدى.. والحقية..

قالها واندفع خارج الغرفة كالسهم ، بينما جلس (توران) على مكتبه والغضب الشديد يغلى فى صدره..

أى أغبياء هؤلاء ؟!

من أى منظمة هذا الوغد الذى قتل ابنه (سيلجوق) ؟!

من أرسله كى يراقبه ويقتله ؟!

كيف عرفوا بشأن الحقية ؟!

مات (سيلجوق) يا (توران)!

مات (سيلجوق) يا (توران)!

دوّت العبارة فى رأسه عدة مرات كالصدى ، لينتبه أول مرة لهذا الأمر بهذا الوضع.. وغاب بعيدًا فى الذكريات ، وانسابت دمعة ساخنة على خده ، دون أن ينتبه ، وبدا وكأنما انفصل وأصبح فى عالم آخر..

.. عالم بعيد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عمّ الصمْتُ قليلاً بعد أن أخبرت (ديمتري) و (منذر) بما وجدت فى الحقية..

— سائل غريب ، أزرق اللون ؟!

هذه كانت من (منذر) ، ولم يقل (ديمتري) شيئاً ، فخمّنت أنه يفكّر ، ويدير عشرات الاحتمالات فى رأسه..

سألنى فجأة باهتمام:

— ما هذا برأيك يا (سامر) ؟!

— لا أعلم ، ربما جزء من قبلة كيميائية ، إن تمّ مزجها مع جزء آخر أو مواد أخرى ستصنع انفجاراً هائلاً.. وربما هى القنبلة ، هكذا كما هى ، يكفى هزّها لأن يحصل انفجار كبير ، وهذا ما أستبعده لأنها عاشت معى الكثير من الاهتزازات منذ الأمس ، لذا يتبقى أمامى الاحتمال الأخير..

— وهو ؟!

أجبت ، وبين يديّ الزجاجة:

— أن يحدث انفجار فى المؤتمر المذكور فى الرسالة ، والانفجار هذا سيكون هو المحفز الذى سيفعل هذه القنبلة ، ويجعلها تنفجر ، لتصنع كارثة جديدة ، أكبر من الانفجار نفسه..

هتف (منذر) بكل قلق وتوتر:

— وما الذى يمكن أن يفعله سائل أزرق اللون وسط انفجار كبير ، كفيل بالإطاحة بمؤتمر كامل ؟!

غمغم (ديمتري) بجانبه:

— هذا هو السؤال..

ثم أردف وقد بدا من صوته التذكر:

— هل زوجتك وابنك بخير ؟!

— نعم ، بأحسن حال..

— أين هما الآن ؟!

أجبت مبتسمًا:

— هل أنت قلق عليهما أكثر منى ؟! لا تقلق.. هما فى الجولة السياحية..

ثم أخذت نفسًا عميقًا ، وقلت:

—.. هناك أمران يا (منذر) و (ديمتري) ، ولا بدّ من معرفتهما قبل أن نفكر بطريقة لمعرفة جواب السؤال المتعلق بهذا السائل أزرق اللون..

سألنى (ديمتري):

— وما هما يا (سامر) ؟!

— اسم الرجل الذى كانت معه الحقيبة هو (أورهان أوزرلى) ، أريد أن أعرف كل المعلومات عنه ، وسأرسل لك صورته فورًا يا (ديمتري).. وأريد أن أطمئن على حالته بعد الطعنة ، أرجو أن يكون حيًا ، لا شك أن ما لديه من معلومات سيفيدنا جدًّا..

قلت هذا وأتبعته كلامى بأنى أمسكت الصورة الملونة التى فى الحقيبة ، وصوّرتها بهاتفى ، وأرسلتها إليه ، فورًا: —.. هل وصلتك ؟!

— نعم.. سأرى ما يمكننى معرفته بشأنه سريعًا..
قال (منذر) ، بعد أن نهض (ديمتري) وجلس أمام حاسوبه: — وما الأمر الثانى يا (سامر) ؟!
— المؤتمر..
سأل بحذر:
— هل أتحرّى عنه ؟!
أجبت بنفاد صبر:
— نحن لا نعرف إن كان هناك مؤتمر أم أكثر ، وأرجو ألا يكون هناك سوى مؤتمر واحد كى نعرف بسهولة أن هذا المؤتمر بالذات هو المستهدف..
سألنى فجأة:
— وماذا سنفعل لو عرفناه ؟!
— لكلّ حادث حديث ، فلنعرف أولًا ما سيعرفه (ديمتري) عن (أورهان) ، وما ستعرفه أنت عن المؤتمر..
— ماذا ستفعل الآن ؟!
ابتسمت رغم كلّ شيء ، وقلت:
— سأمارس ما أجيد.. سأحاول أن أكتشف ماهية هذا السائل أزرق اللون دون أن أفتح الزجاجه!
— خذ حذرك يا (سامر).. إياك أن تنفجر..
— سأحاول!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٦ بلا أثر..

اندفعت أصابع (ديمتري) تجرى فوق لوحة مفاتيح حاسوبه المحمول ، وسط حصنه ، بينما انشغل عنه (منذر) قليلاً بإجراء بعض المكالمات ، لتحرى أمر المؤتمر..

أغلق (منذر) الخط ساخطاً ، وقال كلاماً غير مفهوم لم يسمعه منه (ديمتري) ، لكن قال له وقد رفع إليه عينيه: — ما بك يا (منذر) ؟!

أشار إلى الهاتف:

— هذا الذى كان يكلمنى..

— من ؟!

أجاب ببطء:

— (قاسم داود) ، مدير المخابرات العلمية!

— ما الذى كان يريدہ ؟!

لوح (منذر) بيده مجيباً ، وهو يتجه إلى البطريق: — لا شيء محدد ، سألني عن (سامر) ، هم بحاجة هناك فى القسم التقنى.. يريدون استشارته هاتفياً بشأن أمر ما..

— هل أخبرته بأى شيء ؟!

التفت إليه وهو يهز رأسه نفياً:

— كلا طبعاً ، أخبرته أن الخطوط هناك ربما لا تكون جيدة ، أو ربما أن (سامر) نائم ولم ينتبه..

— هذا جيد..

قالها (ديمتري) وقد أوماً برأسه.. اقترب (منذر) من البطريق وأخذ يلاعبه.. كعادته يحب ملاعبة هذا البطريق ، والذى يجهل تماماً كيف يعيش بعيداً عن الثلج ، وبعيداً عن أى أقران له ، بما أنه من الكائنات الاجتماعية التى لا تعرف معنى الحياة دون رفاق!

لا شك أن (ديمتري) يجرى تجربة عليه ، أو ربما هو بطريق معدل جينياً..

ليس هناك ما هو مستبعد على (ديمتري)!

فجأة ، رنّ هاتف (منذر) وانتزعه من بحر أفكاره: — آلو..

أتاه صوت الصحفى (يوسف سليمان) ، بطل المملكة السابق فى الجمار ،
والذى يعمل فى صحيفة (المرايا) الأسبوعية ، والذى يسكن بجوار بيت
(سامر) ، والذى يوصله (سامر) أحيانًا إلى مقر صحيفته: — نعم يا (منذر)..
سأله بلهفة:

— هل وجدت لى أى شىء عن المؤتمرات التى تجرى فى (تركيا) هذه الأيام
!؟

— لحسن الحظ ، لم أجد إلا مؤتمرين ، والمؤتمران سيقامان غدًا.. الأول
مؤتمر طبى تقيمه جمعية مكافحة السرطان التركية ، للحديث حول آخر ما
وصل إليه الطب بشأن هذا المرض الخبيث ، وسيقام فى (مارماريس) ،
والثانى مؤتمر حول صناعة السلاح ، مع أحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا بما
يتعلق بها القطاع ، وسيقام هذا المؤتمر فى (إسطنبول) ، فى منطقة
(أكساراي) بالتحديد ، وهو تعاون بين الجيش التركى والمخابرات التركية ،
ويستضيفون فيه أكبر شركات الأسلحة فى العالم..

قالها (يوسف) ، ثم أردف باهتمام يخالطه الشك: —.. لكن لم تقل لى ؛ لم
تسأل عن هذه الأمور؟! هل لها أى علاقة بالمخابرات العلمية؟!

ضحك (منذر) ، وهو يحلل الكلام الذى أخبره إياه (يوسف) فى جوانب رأسه ،
وقال: — كلا يا رجل ، من باب الفضول فقط.. وحتى لو كان لها أى علاقة ،
هل تظنّ أننى سأخبرك؟!

وأنهى المكالمة دون أن يترك له مجالًا للتعليق ، ليجد (ديمتري) ينظر إليه
بوجه ممتقع..

— (ديمتري) ، ماذا هناك؟!

هتف بها وهو يقترب منه ، ليجيبه (ديمتري):

— (أورهان أوزرلى)..

— ما به؟!

وكانت الصدمة:

— مات!

خيم الصمت للحظات عليهما ، قطعه تنهد (منذر) العميق ، حيث ألقى نفسه على المقعد الوثير الذى أمامه ، قائلاً باستياء: — فقدنا طرف الخيط الوحيد..

فجأة بدا على (ديمتري) وكأنه انفصل فى عالم آخر ، وارتسمت على ملامحه علامات التفكير العميق ، وجمد تمامًا فى مكانه ، وشردت عيناه.. حدّق فيه (منذر) قليلاً ، ليستنتج دون شرح أن (فابيو) الآن يتكلم معه ، عبر مخه مباشرة ، عبر تلك الشريحة الإلكترونية التى برأس (ديمتري)!

لن يفهم (منذر) أبدًا موضوع (فابيو سكاشيتشى) هذا ، الجثة الحية ، الذى كان عضوًا بعصابات مافيا الدماغ كما عرف مرة ، والموصول بالكهرباء والإنترنت والأقمار الصناعية!

— لحظة ، يبدو أنّ هناك ما هو أسوأ من موته!

هتف بها (ديمتري) ماديًا يده إلى (منذر) ، الذى استجاب له ، ونهض معه حيث حاسوب (ديمتري) المحمول ، الذى سرعان ما وضعه صاحبه فى حصنه كالعادة ، واندفعت أصابعه بسرعة على لوحة المفاتيح مجددًا ، قائلاً: — أخبرنى (فابيو) أنّه ليس هناك من أى أثر لهذا الرجل.. يبدو وكأنما ظهر من العدم ، لا توجد عنه أى معلومات فى الشبكة ، ولا فى جميع السجلات المعلنة والسرية.. لا توجد له صور ، ولا حسابات فى مواقع التواصل الاجتماعى ، ولم نجد صورًا لهوية مدنية أو عسكرية له ، أو صورًا لجواز سفر ، أو أى بطاقات رسمية من أى نوع.. لا شكّ أنهم يضربون أخماسًا فى أسداس الآن ، حيث تقبع جثته ، هناك ، بالمستشفى..

— غريب جدًّا..

— جدًّا!

غمغما بها ، قبل أن ينهض (منذر) ، ويمشى فى المكان قليلاً ، ويقول مستغرقًا بالتفكير: — الذى تقوله الآن ، إن الرجل المطعون هو (أورهان أوزرلى) الذى لا نعرف عنه غير اسمه ، ولم يجد (فابيو) أى إثبات لهويته أو شخصيته ، والذى طعنه شاب اسمه (سيلجوق) ، والده هو زعيم المافيا التركية (توران باموق) ، والذى سيسعى للانتقام حتمًا ومعرفة من قتل ابنه ، وتقول أيضًا إن (سامر) فى هذه اللحظات يحاول اكتشاف ماهية السائل أزرق اللون ، الذى كان مع القتل فى الحقبة! أليس هذا صحيحًا؟!

أوماً (ديمتري) برأسه:

— نعم ، صحيح تمامًا ، لقد لخصت الموقف بأفضل ما يكون ، ونسيت شيئًا واحدًا مهمًّا..

— ما هو ؟!

— (ديالا) و (كريم).. أخشى أن يتعرف هؤلاء الأوغاد على هوية (سامر) وأن يصلوا إلى الحقيقة التي تقول إن زوجته وابنه أيضًا في (تركيا)!

سأل (منذر) بقلق:

— وماذا يعنى هذا ؟!

أجاب (ديمترى) بقلق أكبر:

— أن يصبحوا رهائن!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ارتفع رنين جرس الهاتف المحمول في مكتب (توران) ، الذى التقطه من أمامه بسرعة البرق دون حتى أن يقرأ الاسم المدون على الشاشة ، وهتف بانفعال: — نعم يا (شاهين)..

أتاه صوت (شاهين) بانفعال مماثل:

— نعم يا سيدى ، وصلنا لمعلومات مهمة جدًا بخصوص الرجل الذى قتل (سيلجوق) وأخذ الحقيقة..

كادت يده تعتصر الهاتف وهو يقول:

— من هو ؟! مع من يعمل ؟!

تفجرت الحيرة من صوت (شاهين) وهو يجيب:

— هذا أغرب ما فى الأمر يا سيدى.. إنه مجرد سائق تاكسى ، من (الأردن) ، اسمه (سامر رمضان) ، ويبدو أنه هنا فى زيارة سياحية ، أو بغرض ما آخر لم نستطع معرفته.. المهم أنه هنا فى (إسطنبول) ، وعرفنا من بعض المصادر أنه يسكن الآن فى فندق رخيص ، قرب (تقسيم)..

قال (توران) بدهشة:

— سائق تاكسى من (الأردن) ؟!

ثم أردف:

— لا شك أنه يعمل مع الشرطة الدولية أو مع قسم ما من أقسام المخابرات العامة بدولة من الدول التى تلاحقنا وتصر على إثارة الشغب واللغط حولنا دائمًا.. هذا غطاء له ولا بد..

وسكت قليلاً ، واستطرد:

— وأين أنتم الآن ؟!

— نحن قريبون منه ، ربما نصل إليه خلال نصف ساعة كأقصى حد ، لا تنسى الزحام الشديد فى هذه الفترة من النهار يا سيدى..

قال (توران) مؤكِّدًا ، بصرامة:

— أريده حيًّا يا (شاهين)..

— نعم يا سيدى ، بالتأكيد..

— وإياكم أن تحضروه إلَّى هنا بدون الحقيبة..

— نعم ، نعم..

— أنتظرکم..

قالها (توران) وأغلق الخط مباشرة ، وألقى نظرة سريعة على ساعة يده..
شرد للحظات ، وغطس قليلًا فى مقعده ، وأخذ يحك ذقنه بسبابته وهو يفكر..
غدًا المؤتمر ، ويجب أن تكون الحقيبة معه ، ليرى العالم ما الذى تستطيع
الماфия التركية فعله..

.. وما الذى يستطيع (توران باموق) فعله!

oo oo oo oo oo

بعد أن ابتسمت لرجل كبير فى السن ، يمشى بجانب زوجته ، فى الطابق
الذى أنا فيه بالفندق ؛ دلفت إلى غرفتى ، وأغلقت الباب خلفى بسرعة ،
ووضعت الأكياس أمامى ، على السرير..

لم يستغرق غيابى أكثر من ساعة ، كانت كافية لأن أشتري كلَّ ما أحتاج ، من
أدوات سلكية ولاسلكية ، وكهربائية ، ولم أنس بالطبع أن أمرَّ على الصيدلية ،
كى أشتري بعض المواد الكيميائية المهمة ، التى سأحتاجها لاحقًا..

رُتت علىّ (ديالا) عدة مرات فور دخولى الغرفة ، لكننى كنت فى غاية التركيز
تجاه الأمر الذى أريد فعله ، لذا تجاهلت اتصالاتها ، وقلت لنفسى إننى
سأتصل بها فور انتهائى..

أضأت الأنوار ، وأخذت بسرعة أعمل على تركيب القطع التى اشتريتها ،
مازجًا وصاهرًا أثناء عملى ما أتوقع له أن يفيدنى فى تحليلى للمواد التى
بداخل الزجاجاة..

أعملُ وأبتسمُ في أعماقي ، لا شكَّ أن (ديالا) تحظى بوقت ممتع مع (كريم).. (تركيا) جميلة حقًا ولكنني لم أستمتع بها كما يجب حتى الآن.. أفكر.. لا شكَّ أن (ديمتري) و (منذر) قد وصلا إلى معلومات كافية بشأن المؤتمر ، وبشأن (أورهان)..

هممت أن أتصل بهما ولكنني كنت قد انتهيت ، تقريبًا.. الجهاز في يدي ، وهو ليس أكثر من فكرة مجنونة ، لكن الكثير من الأفكار المجنونة في رأسي ، ستنتج.. ليست ثقة هائلة في قدراتي فقط ، ولكن ، أنا أقوم بالبحث دومًا ، والقراءة ، والتجريب ، بشكل مستمر يشير دهشة جميع من حولي ، دائمًا..

الأهم أنني أفعل هذا لنفسى ، ولعملى ، وليس من أجل أى أحد أو شخص آخر!

هذا الجهاز ، والذي يبدو منظره مضحكًا جدًّا لو رآه أى شخص غيّر ، والذي يبدو شكله أقرب إلى لعب الأطفال ، سيتيح لى أن أحلل طبيعة السائل الموجود داخل الزجاجة ، عبر الزجاج نفسه! ودون أن أضطر لأن أفتح أو أكسر شيئًا.. شىء يعتمد على موجة كهرومغناطيسية يتم توليدها عبر الزجاج لتعود حاملةً أثر السائل الأزرق ، لأقوم أنا بعدها بمقارنة هذا الأثر بكل أنواع السوائل فى العالم ، عبر الإنترنت!

وضعتُ الجهاز أمام الزجاجة ، وألصقته بها تمامًا.. ارتجَّ قليلًا وتساعد منه بعض الدخان ، لكن عيناى تعلقت فيه بأمل ، فلعلنى أستطيع أن أعرف شيئًا يفيدنى..

هدأ الجهاز ، ونظرت إلى الشاشة التى انطبع عليها مجموعة كبيرة من رموز اللغة الأولية (الصفرة والواحد) لأجهزة الحاسوب ، لأنهمض على الفور ، وأقوم بوصل الجهاز مع حاسوبى المحمول ، عبر وصلة لم أنس أن أشتريها من الأسفل قبل قليل..

لا يمكن لأحد أن يدرى كم هو الشراء مرهق هنا!

لا يمكنك أن تجد متحدثين بالانجليزية وقتما أردت..

إنهم يعتزون بلغتهم إلى حدٍّ غريب ، إلى حد أنك قد ترى مجموعة كبيرة من المتاجر دون أى شخص يتكلم الإنجليزية! اللهم إلا إذا وجدت متجرًا قام بتوظيف أحد الأشقاء السوريين ، ليسهل عملية الشراء والتواصل معك أكثر ، باللغة العربية!

انتزعت نفسى من خواطرى وهزرت رأسى بقوة ، وأنا أحلل بيانات الصفرة والواحد الخاصة بالسائل..

حدّقت عيناى جيّدًا بالشاشة التى أمامى..

ما هذا ؟!

لا يوجد أىّ تشابه بين هذا السائل وبين أى شىء آخر!

أبدًا!

أعدت الفحص مرة أخرى.. وثالثة ، ورابعة..

النتيجة نفسها!

لا شىء.. لم أستطع معرفة أى معلومة تفيدنى.. ولا أى نوع من السوائل أو المعادن أو أى شىء معروف داخل هذه الزجاجة..

رباه! يبدو الأمر مقلّقًا للغاية..

أفكر للحظات قبل أن أرفع هاتفى وأتصل على (ديمتري).. سمعت صوت الاتصال المعتاد قبل أن يأتينى صوته: — (سامر)..

قلت له وقد تهللت أسارىرى نوعًا ما:

— العزيز (ديمتري).. هناك أخبار جديدة..

قال بلهجة أثارت قلقى:

— وأنا لدى أخبار جديدة أيضًا..

هممت أن أسأله ، لكنه أردف مباشرة:

—.. بالنسبة لـ (أورهان أوزرلى) ، فقد مات!

— ماذا تقول ؟!

— نعم للأسف ، مات..

أضرب جبهتى بيدى:

— اللعنة!

أكمل وكأنما لم يسمعنى:

—.. كما أننى و (فابيو) بحثنا فى كل شبكة الإنترنت ، وبقاعدة بيانات الشرطة الدولية والمخابرات العلمية عن هويته وعن أى معلومة تفيدنا بشأنه ، لكننا لم نجد أى شىء!

هتفت بدهشة:

— كيف ؟! هذا مستحيل!

— كلا ، ليس مستحيلًا.. يبدو أن الجهة التى كان يعمل لديها هذا الرجل قوية للغاية ، لدرجة أنها أخفت جميع آثاره على الإطلاق ولم تترك فى مواقع الإنترنت المعلنة والسرية أى شىء يتعلق به!

هتفت مرة أخرى ، والحيرة تكاد تقتلنى:

— أى جهة قوية للغاية يا (ديمتري) هذه ؟! الرجل مات مطعونًا من قبل (سيلجوق) ، وهو رجل كبير فى السن ، وكان يمشى وحده ، وتم طعنه دون مقاومة ، ولو لم أ تدخل لكان هذا السلاح أو هذه الزجاجة التى معى الآن ، مع (توران) الآن..

هتف (ديمتري) بدوره وقد ذكرته:

— هل استطعت معرفة ماهية السائل الأزرق الذى بداخل الزجاجة يا (سامر) ؟!

قلت بأسف:

— كلا ، لم أستطع.. قمت بعمل جهاز لفحص السائل عن طريق الموجات الكهرومغناطيسية ، لكنه لم ينجح..

قال (ديمتري) متفهمًا ، وبنبرة بطيئة:

— نعم.. نعم.. موجات كهرومغناطيسية.. هل استعملت خلاصة الراديو بعد توجيهها بموجات ألفا الصوتية ؟!

قلت بإعجاب:

— نعم ، لقد فعلت هذا بعد أن قمت بتجهيز المواد اللازمة.. كيف عرفت ؟!

ضحك وقال ، والنشوة تطل بوضوح من موجات صوته: — لا تنس أننا نفكر بنفس الطريقة ، غالبًا.. على كل حال من المفترض أن ينجح الجهاز ، وأن يخبرك بماهية السائل..

— نعم ، الجهاز قام بعمله على أكمل وجه..

سألنى:

— حسنًا ، ما المشكلة ؟!

— المشكلة أننى لم أجد أى تشابه بين هذا السائل ، وأى شىء آخر!

هتف بانفعال شديد:

— ماذا؟!

قلبت كفى وقلت:

— كما قلت لك.. لا يوجد أى شبيه لهذا السائل الأزرق!

قلتها ، وعقدت حاجبى فى اهتمام ، وغرقت فى تفكير عميق بسرعة ، بينما (ديمتري) يقول: — هذا يؤكد ما أخبرتك به يا (سامر).. لم أجد شيئاً عن الرجل فى قاعدة البيانات التى لدينا وفى شبكة الإنترنت كلها ، كما لم تجد أنت أى شىء قد يفيدك فى معرفة كنه السائل الأزرق! أنا متأكد أن هذه الزجاجة شىء كبير ، أكبر من مجرد سلاح ، وأن الرجل (أورهان) أكثر من مجرد قتل! حتمًا هناك جهة ضخمة للغاية ، مسؤولة عن هذا الرجل ، وعن إحاطته بجدار الغموض الكثيف الهائل هذا..

واستطرد بعد أن أطلق تنهيدة طويلة:

— رباہ!

— لكنه مات مقتولاً.. ولا نعرف سبب طعنه وقتله حتى الآن! وأيضًا لم نستطع أن نعرف شيئًا عن هذه الزجاجة يا (ديمتري)! هذا يقلقنى جدًّا..

قال (ديمتري) فجأة:

— (سامر) ، نسيت أن أخبرك شيئًا..

— ما هو؟!

— هناك مؤتمران غدًا.. الأول متعلق بالسرطان ، والثانى متعلق بالأسلحة..

— بالأسلحة؟!

هتفت بها بدهشة وأنا أفكر.. هل من المعقول أنهم يريدون تفجير مؤتمر الأسلحة بسلاحهم الذى لا نعرف قدراته هذا؟! من المؤكد أن الهدف ليس مؤتمر السرطان.. هو مؤتمر الأسلحة.. نعم بالتأكيد.. لا بد أن هذا هو الهدف..

ستكون هذه أكبر حملة دعائية وإعلانية لهم.. وهل هناك أفضل من استعمال سلاح جديد لم يصل إليه أحد ، فى مؤتمر كبير عن الأسلحة ، لا شك أن هناك عددًا هائلًا يهتمون به ، من ضمنهم رؤساء الدول ، ودوائر المخابرات ، والجيش ، والجماعات الإرهابية المنظمة؟!

ستكون هذه هى ضربة (توران) القاضية لو فعلها واستطاع أن يفعل هذا.. سبرى العالم كله قوة المافيا التركية!

فكرت بهذا بسرعة فى صمت ، وأنا أنظر للزجاجة فى يدى ، وقد تضاعف قلقي ألف مرة ، بينما التزم (ديمتري) الصمت تمامًا أيضًا ، وقد بدا أنه غرق فى أفكاره أيضًا..

سألت (ديمتري):

— لماذا لا نقول للمخابرات العلمية ؟!

— وهل سيستطيعون فعل أى شىء الآن ؟!

— نعم ، السلاح معى ، وأستطيع العودة به دون أن يشك بى أحد ، أو أستطيع تسليمه للسفير الأردنى فى (إسطنبول) ، بعد أن أخبر السيد (قاسم).. بشكل عام هناك أكثر من حل.. لن نعجز عن ابتكار واكتشاف حل لهذا الأمر السخيف..

يقول بانفعال فجأة ، بعد أن تتأب بقوة:

— وماذا لو كانت هناك خطة بديلة يا (سامر) ؟!

— خطة بديلة ؟!

— نعم ، خطة بديلة.. الخطة (ب) فى حال فشلت الخطة الأولى.. ربما هناك سلاح آخر.. ربما هناك شىء كانوا سيقومون بعمله فى حال فشل (سيلجوق) بإحضار الحقيقة.. ربما هذا السلاح سيعمل فى حال وجود سلاح آخر يقوم بتحفيزه وتنشيطه كما وضعنا فى قائمة الاحتمالات منذ البداية.. هناك عدة احتمالات ، وكلها مثيرة للقلق والتوتر.. هل يمكنك أن تخاطر بأى من هذا ؟!

أقول فى ضيق ، مطلقًا تنهيدة عميقة ، حارة:

— لا ، لا يمكننى أن أخاطر بشىء ، كما أن الـ..

لم أتم عبارتى.. والتزمت الصمت التام بغتة!

— (سامر).. لم تكمل عبارتك..

قالها (ديمتري) فى قلق ، لأهمس له بخفوت شديد ، وأنا أنهض ، واضعًا الزجاجة على الأرض قرب باب الثلاجة ، مقتربًا من باب الغرفة بهدوء: — صه يا (ديمتري)..

— ماذا هناك يا (سامر) ؟! ماذا هناك ؟!

همس بها بصوت كالفحيح ، ولم أجبه ، بل اقتربت من باب الغرفة ، وأرهفت السمع جيدًا..

هناك أصوات أقدام ، يبدو أن عددهم ثلاثة رجال.. بل أربعة رجال فى الواقع..
.. وهم أمام باب غرفتى تمامًا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



٧ مواجهة..

أصغيتُ السمع جيدًا ، يتحدثون باللغة التركية فيما بينهم ، ويحملون بعض الأسلحة.. أستطيع تمييز صوت الأسلحة، ويبدو أنهم على وشك اقتحام الغرفة دون أن يهتموا بأي شيء آخر..

عندما تعمل مع زعيم المافيا التركية ، من يستطيع أن يعترض على ما تقوم به ؟! لو اقتحموا المكان وحطموه تحطيمًا ، يكفي أن يعرف رجال الشرطة أو أصحاب الفندق أنهم من رجال (توران) ولن يحركوا ساكنًا ، هذا ما أتوقعه..

همست مخاطبًا (ديمتري) الذى ما يزال على الخط:

— أكلّمك لاحقًا..

ولم أسمع جوابًا لأننى أنهيت الاتصال على الفور ووضعت الهاتف على الوضع الصامت ، وبأسرع ما عندى ألقيت نظرة على ما حولى ، هناك مصباح قريب منى ، يرتكن على عامود حديدى طوله نصف متر تقريبًا ، وعلى بعد مترين كان باب الحمام..

اقتربت وأمسكت المصباح وأخذته معى إلى الحمام ، وما أن أغلقت الباب بهدوء شديد حتى اقتحموا الغرفة خالعين الباب من مكانه ، وهم يصرخون ويطلقون النار نحو السقف ، مما منحنى فكرة أنّ هذا بقصد تخويفى فقط وأنهم لا يريدون قتلى.. بنفس الوقت كنت قد فككت المصباح عن القاعدة الحديدية ، ممسكًا بها، واقفًا قرب الباب من الداخل.. سمعت صراخًا من نفس الطابق ، لكننى أبقيت تركيزى عليهم ، أترأّك جدًّا ، وكل واحد منهم لديه شارب ضخّم..

لمحُتُ أحدهم يقترب من باب الحمام فجأة دون أن يرانى ، وهذا ما كنت أريده ، دفعت الباب فجأة وأنا أرمى القاعدة الحديدية لتصطدم بأحدهم ، متفاديًا رصاصة أطلقها الثانى الذى يقف قرب باب الغرفة بجانبى ، راکلاً الذى أمامى بمنتصف وجهه ، وأنا أدور حول نفسى لألکم الثانى فى معدته مباشرة..

المسدس يقفز من يده نحو يدى مباشرة ، ألتقطه فى الهواء وأطلق النار بشكل عشوائى ، أشعر أننى فقدت أعصابى رغم أننى خلال ثوان معدودة هاجمتهم جميعًا.. سقط اثنان يصرخان من الألم بعد أن اخترقت الرصاصات سيقانهم ، وأنا أطلق رصاصتين أخيرتين فى المسدس قبل أن تصدر تلك التكة الخافتة التى تعنى انتهاء الرصاص من المسدس!

نظرتُ إليهم ، كان آخرهم والذي ارتطمت القاعدة الحديدية فى صدره بمواجهتى ، بينما الثلاثة على الأرض ، والصراخ ما زال يعلو هنا وهناك فى الفندق ، بينما انطلق جرس الإنذار المزعج يزيد الموقف سوءًا..

هجم علىّ وهو يصرخ ، لأعاجله بلكمة قوية صدها فى يده ، وبلكمنى مباشرة فى صدرى ، بقوة عجيبة ، جعلتنى أشهق بقوة ، وأسقط على الأرض مرتطمًا بالطاولة التى فى منتصف الغرفة..

يقفز نحوى ويركلنى مرة أخرى فى بطنى ، وأصرخ من الألم ، ما هذا بالضبط ؟! هل هذا مسدس آخر بجانبى ؟!

أحاول أن أمسكه لولا أنه يكاد أن يهرس يدى وأصابعى بحذائه الثقيل ، قبل أن يميل علىّ ويرفعنى بيديه الاثنتين ، ويقول لى وعيناه تتفحصان كل سنتمتر فى ملامحى:

— لولا أن السيد (شاهين) طلبك حيًا ، لكنت جثة منذ لحظة دخلنا هذه الغرفة..

أقول فى إعياء ، محاولًا أن ألكمه فى أنفه:

— ومن (شاهين) هذا أيضًا ؟!

— أنا يا سيد (سامر)..

رجل قصير القامة ، عريض المنكبين كالملاكمين ، ذو شعر قصير ولحية قصيرة أيضًا ، ويرتدى عوينات طبية بدون إطار ، دخل الغرفة وهو يرتدى قفازات سوداء ، قائلاً هذه العبارة..

نظرتُ إليه ، وألقانى الرجل الذى يحملنى على الأرض ، وعقد ساعديه وهو ينظر إلىّ فى تحدٍّ ، بينما اقترب منى (شاهين) وهو يقول بطريقة مستفزة:

— سائق تاكسى يكاد يتغلب على أربعة رجال من المافيا! هذا خبر لطيف لا يعنى إلا شيئًا واحدًا..

وجلس على مقعد مقابل لى ، وهو يبتسم ويردف:

—.. أنك لست سائق تاكسى!

قلت محاولًا كسب المزيد من الوقت:

— ما الذى تتوقعه من رجل يجد بعض الرجال يقتحمون غرفته وهم مسلحين ؟! هل سيصرخ ويبكى كالنساء مثلاً ؟!

تتسع ابتسامته وهو يقول:

— أنت لست سائق تاكسى ، دعك من الألعاب ، كما أنّ الحقيبة معك ،
الحقيبة التى أخذتها من (سيلجوق) بعد أن قتلته..

— لم أقتل أحداً..

قلتها وأنا أهرّ كتفى نفياً ، ليطلق ضحكة طويلة ويتبعها بقوله:

— فلنر ما رأى السيد (توران) حول هذا الأمر..

— (توران باموق) ؟!

أقولها بنبرة حاولت أن أسيطر عليها ، هذا رائع ، من الجيد أنهم لم يفعلوا
شيئاً الآن ، بل سيأخذوننى إلى الرأس الكبير ، (توران) شخصياً ، والذى لا
شك أنه ليس سعيداً برؤيتى بعد أن قتلت ابنه وسرقت الحقيبة..

— أين الزجاجة ؟!

خانى انفعالى إذ نظرتُ بسرعة إلى المكان الذى وضعت فيه الزجاجة ، قرب
باب الثلاجة من الجهة اليمنى ، والتى لحسن الحظ لم يأت باتجاهها أى
رصاصة أو أى شىء ، وأنا أقول:

— أئ زجاجة ؟!

المشكلة أنه لاحظ أن ، هذا الوغد دقيق الملاحظة وقد انتبه إلى المكان الذى
ألقيت نظرة عليه لجزء من الثانية ، ابتسامته بقيت على وجهه وهو يذهب
هناك ويتناول الزجاجة بين يديه ، ويقول لى بظفر وثقة:

— هذه الزجاجة!

هتفتُ بكل انفعال:

— ما هى ؟! ما الذى تفعله ؟!

لم يجبنى (شاهين) للأسف ، فقط اكتفى بأن أشار للرجل الضخم برأسه ،
وفوجئت به يلكمنى بقوة على أنفى ، اللكمة فجّرت الألم فى رأسى ، قبل أن
أفقد الوعى مباشرة..

.. وأغيب عن الوعى!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نظر (منذر) نحو (ديمتري) وسأله بقلق:

— هل عرفت أى شىء ؟!

كانت أصابع (ديمتري) تجرى على لوحة المفاتيح بسرعة ، وكان يغمض عينيه كل عدة ثوانٍ مما يعنى أن (فابيو) يقوم بإعطائه بعض المعلومات ، مرّ صمت ولم يجبه قبل أن يقول له:

— يبدو أنّ الرجال الأربعة كما أخبرنى (سامر) قد تمكّنوا من التغلب عليه ، اتصلت به عدة مرات لكنّه لا يجيب ، أعتقد أنه وضع الهاتف على الوضع الصامت قبل أن يواجههم..

ثم التفت إليه وقال:

—.. علينا أن نفعل شيئًا يا (منذر).. عليك أن تفعل شيئًا..

نهض سريعًا ووقف وقال وهو ينظر فى عينيه:

— أخبرنى ، ما الذى يجب أن أفعله ؟!

فكّر قليلًا قبل أن يجيب:

— اتّصل بالسيد (قاسم) ، أخبره سريعًا بما حدث وأخبره أن عليك الذهاب مباشرة إلى (إسطنبول) لأن (سامر) يحتاج إليك..

نظر (منذر) إليه فى دهشة:

— أسافر إلى (إسطنبول) ؟! الآن ؟!

تجاهله (ديمتري) وهو يقول:

— الآن ودون تأخير ، أخبرنى (فابيو) أنه استطاع عبر كاميرا أمام الفندق تسجيل خروج لخمسة رجال يحملون رجلًا فاقدًا للوعى ، وركبوا جميعًا بعض السيارات الحديثة قبل أن ينطلقوا دون أن يعترضهم أحد.. هؤلاء رجال (توران) بالتأكيد ، وفاقد وعيه هو (سامر)! لا تنسى أنّ (سامر) قتل (سيلجوق) ابن (توران) ، وأنه سيحاول انتزاع كل شيء يعرفه (سامر) بالقوّة وربما بالتعذيب ، لا تنسى أنه يريد قتل (سامر) حتمًا للانتقام لموت ابنه (سيلجوق).. يجب أن تذهب.. يجب..

— وأنت ستبقى هناك ؟!

كان سؤاله منطقيًا لكنّ جواب (ديمتري) كان منطقيًا أكثر:

— لن أستطيع فعل شيء هناك ، قوّتى هنا ، مع هذه الأجهزة ومع (فابيو) ، سأظلّ معك هناك أرشدك طوال الوقت عبر الهاتف ، وعبر هذه السماعة الصغيرة..

قالها وهو يعبث فى درج مكتبه ، ثم أخرج سماعة صغيرة سوداء وناولها لـ (منذر) الذى سأله:

— هل كلُّ شىء هُنا من تطويرك ؟!

— ليس هناك وقت لهذه الأسئلة ، اذهب فورًا للسيد (قاسم) واطلب منه أى وسيلة تنقلك إلى (تركيا) الآن ، لا ندرى ما الذى يمرُّ به (سامر) أو ما الذى سيمرُّ به فى الساعات المقبلة..

— حسنًا ، سأذهب الآن..

تثاءب (ديمتري) ، ثم قال فى حزم وهو يجلس أمام لوحة المفاتيح، ويعود للعمل بكلِّ انهماك وتركيز:

— سأرى إن كان هناك أى شىء آخر ربما عرفه (فابيو) من تسجيلات كاميرا الفندق ، وسأحاول تعقّب هاتف (منذر) ، أرجو أن يظلَّ مفتوحًا وألاَّ يغلقه أحد..

— هل تستطيع تتبع الهاتف دون أن يكون متصلًا بالإنترنت ؟!

— الجواب سيكون طويلًا للغاية إن أردت شرحه لك مفصلاً ، ربما فى وقت آخر ، الآن لا نملك هذا الثّرف ، خلاصة الأمر أننى أستطيع تتبّع أى هاتف دون إنترنت ، نعم.. اذهب الآن..

اندفع (منذر) إلى الخارج دون أى كلمة أخرى ، بينما أخرج (ديمتري) هاتفه المحمول واتصل على قسم الطلبات الخارجية فى مطعم (ماكدونالدز) ، طلب وجبة كبيرة وأعطاهم العنوان..

.. وعاد إلى لوحة المفاتيح لينهمك من جديد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ركض (كريم) من بعيد وقفز مباشرة فى حضن (ديالا) ، بالضبط مع صوت (كليك) الذى صدر من الهاتف المحمول الذى تمسكه تلك الفتاة ذات الشعر البنى ، القريبة منهما ، والتى كانت تصوّرهما..

— شكرًا حبيبتي..

— ليست هناك مشكلة ، عفوًا..

قالت الفتاة وضحكت ، نظرت إليها (ديالا) وقالت بينها وبين نفسها إنها على الأغلب لو أنجبت بنتًا فستكون تشبه هذه الفتاة..

نظرت إلى (كريم) السعيد للغاية بكلّ هذا الثلج ، نظرت حولها إلى كلّ هؤلاء الذين مع زوجاتهم وأولادهم ، إلى تلك الأحصنة التي تمشى فى الثلج دون أن يهتمّوا بشيء ، ثم نظرت إلى هاتفها المحمول وغصة تعتصر قلبها.. (سامر) لم يتّصل بها منذ ساعات وهذا الأمر يقلقها ، ربما هى تشكّ بطريقة زائدة بسبب ما حدث معه بعد عودته للمخابرات ، أو.. لا تدرى! المهم أنها تشعر بشيء واحد ولا تستطيع تفسير هذا الشعور: (سامر) فى خطر!

فى هذه اللحظة تمامًا رنّ هاتفها ، إنه (ديمتري) ، ضغطت زرّ الإجابة بلهفة وهى تقول:

— نعم يا (ديمتري) ..

أتاه صوتها جدّيًّا للغاية ، بشكل لم تألفه فيه:

— اسمعيني يا (ديالا) ، واصلى الاستمتاع برحلتك دون تفكير بأى شيء آخر ، (سامر) بخير ونحن نتابعه ونراقب كلّ تحركاته ولا يجب أن تقلقى عليه أبدًا ، زوجك محترف حقيقى ، عليك فقط أن تكونى مستعدة لأى شيء قد يطلبه منك (منذر) .. هو فى الطريق إلى (إسطنبول) بالمناسبة ، الآن!

هتفت (ديالا) بدهشة جديدة محاولة أن تفهم أى شيء:

— ماذا؟! (منذر) فى الطريق إلى (إسطنبول)؟! الآن؟! ما الذى يحدث مع (سامر) بالضبط يا (ديمتري)؟! وهل هند..

قاطعها بطريقة مستفزة:

— أرجو ألا تسألى كثيرًا ، سيأتى (منذر) ، وأرجو منك وقتها أن تصغى له جيّدًا ، لا بدّ أن أذهب ، ورائى عمل مهم..

ثم أغلق الخط دون أن يترك لها أى فرصة بأى سؤال وجواب! أعادت الاتصال عليه بعصية شديدة دون جدوى ، لم يردّ عليها.. لم يعرف (ديمتري) أنه باتصاله لم يطمئنّها.. هو فقط فجّر فضولها وذعرها وقلقها..

.. ألف مرّة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استمع مدير المخابرات العلمية ، السيد (قاسم داود) ، لكلّ حرف قاله (منذر) ، ولم يكذب خبرًا ، رغم أنه كان يريد أن يعرف بكلّ هذه التفاصيل أولًا بأول ، ورغم أن (سامر) و (ديمتري) تصرّفا وتعاونًا من تلقاء نفسيهما دون الرّجوع لأحد..

خلال نصف ساعة فقط كان (منذر) فى المطار ، ثمة طائرة صغيرة سريعة قادرة أن تنقله إلى (إسطنبول) خلال ساعتين ، ليتابع ما يريد أن يتابعه ، وليحاول إيجاد (سامر) بمعاونة (ديمتري) الذى يستعين بـ (فابيو) فى كلّ شىء..

وعندما ركب الطائرة وأقلعت به ، كان يحدق من النافذة وجملة واحدة تتكرر فى رأسه:

أرجو أن يكون (سامر) بخير!

أرجو أن يكون (سامر) بخير!

.. أرجو أن يكون (سامر) بخير!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دوار شديد ، وألم فى أنفى ، واستيقاظ مباغت ، مباشرة بعد أن شعرت بأحدهم يهزّنى من كتفىّ بقوة ، ودلو من الماء البارد المثلج فوق رأسى..

فتحت عينيّ وأنا أشهق ، وأميز نفسى والموجودين من حولي.. هذا الرجل الضخم ، هذا (شاهين) القصير ويده هاتفى المحمول! وبجانبه رجل أصلع وغاضب وضخم الجثة ويبدو قياديًا وصارمًا جدًّا ، هو (توران) بالتأكيد.. الجو دافئ ، وأنا مقيدّ وعلى كرسي خشبى ، فى مكتب يبدو فخّمًا ، فيه سجاجيد وأثاث يدلّ على الثراء الفاحش..

— (سامر رمضان) ، أليس كذلك ؟!

قالها وهو ينظر إلى ، نظرت إليه دون أن أجيب ، فاستطرد وهو يشبك أصابعه خلف ظهره ويتحرّك نحوى ببطء:

... أخبرونى إنك سائق تاكسى ولكنّ هذه كذبة ساذجة.. أنت رجل مخابرات على الأغلب ، رجل مخابرات لم يفعل شيئًا ، فالزجاجة معنا من جديد ، و (أورهان) مات كما نرغب تمامًا ، أنت فقط قتلت (سيلجوق)..

قالها وقد صار أمامى مباشرة ، ليهوى على بطنى ووجهي وأنفى بلكمات متتابعة ، لكمة ، لكمة ، لكمة ، الألم لا يطاق ، لكننى لن أصرخ ، سأحتمل حتى أفقد الوعى.. تهاوى رأسى على صدرى مجددًا قبل أن يندفع الماء البارد المثلج فى وجهى مرة أخرى ، شهقت بقوة وميّزته وهو يمسح يديه من الدم فى ملابس (شاهين) الواقف صامتًا ببرود..

نظرت فى عينيّه وقلت له:

— ما الذى تفعله هذه الزجاجة ؟!

نظر إلى ولم يجبنى ، مشى نحو مكتبه ثم جلس على كرسيه ، ووضع ساعديه أمامه ، قبل أن يقول:

— فضولك أكبر من كل شيء ، لا تريد أن تعرف إن كنت سأقتلك الآن أم لاحقًا ، لا تريد إلا أن تعرف عن الزجاجة وما الذى تفعله.. و.. قاطعته بوهن:

— لماذا لا يوجد أى معلومة عن (أورهان) فى أى مكان ؟!

بدت الدهشة على وجه (شاهين) بينما رفع (توران) حاجبًا قبل أن ينفجر من الضحك ، ثم نهض من المكتب بحركة حادة واقترب منى وقال وأنفاسه ترتطم بوجهي:

— كنت أعلم! هذا غير طبيعى.. فضولك غير طبيعى ، وتعلم الكثير بسرعة أيضًا..

ثم اقترب أكثر واستطرد وهو يضغط على كل حرف:

— (أورهان) ليس من هذا العالم يا (سامر)!

نظرت إليه دون أن أفهم ، مال عليه (شاهين) وأخبره شيئًا بصوت منخفض ، برقت عيناه ولمعنا وكأنه وجد كنزًا ، وضرب كتف (شاهين) بقوة وهو يقول:

— عبقرى أنت.. عبقرى..

والتفت إلى وقال:

—.. أحترم الذين يتقنون عملهم.. لا أعرف كيف بحثت ولم تجد شيئًا عن (أورهان) بهذه السرعة ، لكننى سأشبع فضولك ولن أجعل رحلتك تذهب عبثًا ، سأقول لك ما تريد أن تعرفه ، وخصوصًا أنك ستكون مع الزجاجة جنبًا إلى جنب فى رحلتها الأخيرة نحو الأبد..

أى رحلة أخيرة للزجاجة ؟!

ما الذى يقصده بقوله هذا ؟!

أتبع عبارته بضحكة وهو يتبادل نظرة غامضة مع (شاهين) ، وقال:

— عليك أن تشكر هذا الرجل ، لن تموت الآن ، ولن أعذبك، ستبقى حيًا حتى الغد..

— حتى المؤتمر ؟!

صق بيديه:

— حتى المؤتمر ، أحسنت.. أريدك أن تكون واعيًا لكل ما سيحصل ، أريدك أن تشعر بكل شيء..

— ما هو ؟! عن ماذا تتحدث ؟! وأي رحلة أخيرة للزجاجة هذه التي تتحدث عنها ؟!

أشار بيده للرجل الضخم فأحضر مقعدًا ووضعته أمامي ، جلس عليه (توران) وأخرج سيجارة ، أشعلها له (شاهين) بسرعة ، نفث دخانها بقوة وقال:

— أنا (توران باموق) ، الرجل الأقوى في (تركيا) كلها ، لا شك أنك عرفت هذا بما أنك بحثت عن (أورهان) ولم تجد شيئًا عنه.. لن يجد أحد شيئًا لأنه ليس من هذا العالم ، (أورهان) ليس من هذا العالم يا عزيزي ، (أورهان) رجل سبق جيله كله ، بالمعنى الحرفي للكلمة!

— ما الذي تقصده ؟!

— (أورهان) من المستقبل!

oo oo oo oo oo



٨ (أورهان)..

هبطت الطائرة فى المطار ، وشدّ (منذر) ياقتى القميص حول عنقه أكثر وهو ينزل على الدرج ، بينما يتّصل على (ديالا) ، التى أجابته بلهفة وسرعة: — (منذر)؟!

قال بحزم:

— وصلت المطار الآن يا (ديالا) كما أخبرك (ديمتري) قبل ساعات ، أين أنتم ؟!

— نحن فى (بورصة) مع المجموعة السياحية ، الحمد لله على السلامة ، هل من أخبار عن (سامر) ؟! هاتفه مغلق منذ ساعة!

فكّر سريعًا قبل أن يقول أى شىء ، هاتف (سامر) مغلق أى أنّ (ديمتري) الآن يفكر فى طريقة أخرى لتعقب هاتفه ، عليه أن يجد وسيلة أخرى يستطيع بها إيجاد (سامر) وإنقاذه مما هو فيه ، مهما كان وأينما كان..

قال وهو يتجه إلى قسم التفتيش والجوازات ، ناظرًا إلى أحد رجال المخابرات الذى ينتظره بعد الحاجز ، مشيرًا إليه بالقدم: — لا تقلقى ، (ديمتري) يعرف أين (سامر) والمهمة المكلف بها طارئة ولكنها ليست خطيرة ، إننا نتابع كل شىء يا (ديالا) فلا تقلقى.. أنا فى الطريق إليك..

قالت بسرعة:

— كلا ، لا تأت ، رحلتنا شبه انتهت فى (بورصة) ، إنهم يجمعون باقى المجموعة الآن ، وخلال ساعتين سنصل الفندق فى (إسطنبول).. نراك هناك.. فكّر قليلًا ثم قال:

— سأنتظرك على باب الفندق مع بعض رجالنا ، وبعدها سنذهب..

— أين ؟!

— إلى فندق آخر طبعًا!

بدهشة شديدة:

— لماذا ؟!

— ستعرفين لاحقًا ، نراكم بعد ساعتين عند الفندق!

ضرب (ديمتري) الطاولة بقبضته وهو يهتف:

— تَبَّأ!

لم يستطع تعقب هاتف (سامر) لأنه مغلق ، لا بدّ أن يطرّور تقنية معينة للبحث عن أي هاتف حتى لو كان مغلقًا ، لكن عليه التفكير في تفاصيل كهذه في وقت آخر..

نهض واقترب من (فابيو) ، الجثة الحية المحفوظة في صندوق زجاجي في شقته ، تواصل معه فكريًا عبر الشريحة المتطورة في رأسه وكرّر بإلحاح عليه أن يبحث أكثر..

يجب أن يبحث أكثر ، يجب!

بدأ (فابيو) بالبحث في التسجيلات والملفات وفي كلّ شيء يستطيع الوصول إليه ، بينما اتصل (ديمتري) على (منذر) ، الذي كان في سيارة المخابرات بالطريق إلى الفندق: — (ديالا) و(كريم) أنها الجولة السياحية ، إنهما في الطريق نحو الفندق الآن ، من هناك سننتقل نحو فندق آخر مباشرة ، تحت حراسة مباشرة من قبلنا ، وربما أقنعناها أن تعود إلى (الأردن)..

ثم سكّت وأردف:

—.. بالمناسبة ، أخبرتنى إنها اتصلت على (سامر) أكثر من مرة ولكن هاتفه كان مغلقًا! هل استطعت تحديد مكانه أم إنهم أغلقوا هاتفه قبل أن تتعقبه ؟!

— قبل أن أتعبه يا (منذر)..

أطلق (منذر) تنهيدة عميقة وهو يشدّ على الهاتف بأصابعه ، بينما استطرّد (ديمتري): —.. المهم أن الـ..

ثم سكّت عدة ثوانٍ ، وهتف بفرح:

—.. رائع يا (فابيو)!

— ماذا هناك ؟! هل وجد شيئًا ؟!

— يقول إنه استطاع العثور على رقم واحدة من السيارات التي كانت أمام الفندق ، حيث كان (سامر) ورجال (توران) ، وإنه سيبحث عنها بالأقمار الصناعية حتى يجدها ، سيحاول تعقبها..

تمتّم (منذر) وهو يحكّ ذقنه بسبابته:

— جيد.. جيد..

ثم أنهى الاتصال..

السيارة تشق الطريق ، وعيناه تتأملان الشوارع ، والمحلات التجارية ، والزحام..

وفى الشقة ، تراجع (ديمتري) فى مقعده ، وهو يطلق تنهيدة عميقة ، ناظرًا إلى (فايو) فى صندوقه الزجاجى بامتنان..

عسى أن يجد السيارة فى الوقت المناسب..

.. ولعلّ (منذر) يجد (سامر) أيضًا فى الوقت المناسب!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حاولت أن أستوعب الأمر ، وأنا أنظر إلى (توران) ، الذى مال إلى الأمام قليلًا وسألنى: — تظنّ هذه الأمور مجرد خيال ، أليس كذلك؟! تعتقد أننى أمرح؟!

لو يدرى بالذى حصل بينى وبين الياب ، وكلّ تلك الأسرار المرتبطة بى.. لو يعرف تفاصيل ما حدث مع ساحرات المالاكان ، أو مع (عبد الرحمن الخطيب) الذى يبحث عن التوائم الصغار!

لو يدرى عن المذؤوب الذى يسافر عبر الزمن! ما الذى سيقوله وقتها؟! ابتسمت فى داخلى رغم كلّ شىء ولم أظهر له هذه الابتسامة بالطبع ، وسألته: — كلا ، أعتقد أننى أصدق بوجود هذه الأمور.. هو من زمن آخر ، حسّنًا ، ما الذى يفعله رجل من زمن آخر فى زمننا؟!

نظر إلّى ، مستغربًا من سرعة تفاعلى مع الأمر وعدم استنكارى لشىء ، هزّ رأسه ولوّح بيده: — أنت غريب! المهم أنّ هذا الرجل من المستقبل ، عالم كبير هو من المتخصصين فى صناعة الأسلحة وتطويرها ، وهذه الزجاجاة — أو ما فيها — هى خلاصة ما توصلّ إليه..

وأخرج الزجاجاة من جيب معطفه ، واستطرد:

... أطلق عليها اسم (ثيلما) ، ولا أدرى لماذا.. هذه الزجاجاة أقوى ما توصل إليه على الإطلاق ، يكفى أن نقول كلمة واحدة فقط بجانب الزجاجاة ، كى تتفاعل المادة التى فى الداخل وتنفجر ، مطلقة أكبر وباء يمكن لك أن تتخيله! حاول أن تفهم ما أقول لك جيدًا لأنّ هذا أجمل من أن أقوله مرة واحدة: هذه المادة ذكية ، المحلول الذى بالداخل ذكى جدًّا! ويستطيع أن يميّز الكلمة التى تُقال له ، وبعد ساعة فقط من قولنا للكلمة ؛ تنتهى سلسلة التفاعلات الكيميائية فى هذا المحلول لينفجر ، وينطلق بعدها الباء الأكبر على مستوى (تركيا)! القنبلة البيولوجية الأعظم على الإطلاق.. تخيّل ؛ كلّ شىء فى حدود عشرين كيلومترًا سيموت! كلّ شىء سيتمّ تدميره تمامًا من

الداخل ، ولن يكون هناك أى آثار أخرى للتفجير والموت خارج نطاق الكيلومترات العشرين..

ونهب عن المقعد وهى يشير بيديه بانفعال:

— هل يمكنك أن تتخيل الأمر؟! وباء قاتل وسلاح جبار ، وأستطيع تحديد منطقتة الجغرافية بدقة هائلة ، فقط عشرون كيلو مترًا.. أى أنك لو كنت على خمسة أمتار من الانفجار ستشعر ببعض اللهب وربما تتطاير عليك بعض الشظايا فقط لأن الدمار سيكون من الداخل ، أى أن البنايات والسيارات مثلاً التى ستتفجّر ستتفجر ضمن نطاق مساحتها ، ولن تتناثر الأشلاء والأجزاء فى كل صوب.. هذا أيضًا مع الناس ، سيشعرون باحتراق يأكلهم من الداخل وسيتعذبون بشدة قبل أن تهاجمهم حمى غريبة تفترس أجسادهم بسرعة مذهلة ، وتميتهم فى دقائق..

لا أعرف كيف سألتة:

— هل سيسعدك هذا؟!

قلب كفيه وهزّ كتفيه وهو يجيب:

— آثار جانبية ، (سامر) ، آثار جانبية.. لا بدّ أن أعلن بقوة أمام العالم كله عن المافيا التركية ، لأنّ القادم أعظم ، هذه المرحلة الأولى فحسب!

أفكر وأنا أنظر إليه: هذا الرجل مجنون حقيقى..

لا شكّ أن لديه ولع بالسيطرة وأنه يعتقد أن هذا سيحصل بسهولة إن فعل هذا الذى يقوله ، ولا أحد يدرى ما المراحل القادمة إن كان كلّ هذا يدخل ضمن نطاق أول مرحلة فقط!

— كيف استطعتم الوصول إلى (أورهان)؟!

سألت بكل فضول ، فالحيرة التهمتني من الداخل ، نعم ، المافيا التركية قوية جدّا ولكن ليس إلى درجة أن يأتوا برجل من المستقبل! هناك شىء لا أعرفه..

التفت إلىّ بجسده كله وقال:

— كيف استطعنا أن نصل إليه؟! هو وصل إلىّ يا (سامر)! الرجل أتانى مباشرة بعد أن أخبرنى ببعض الأسرار التى لا يعرفها سوى فى الكون ، وهذا فجّر حيرتى حتى أقصى حدّ ، لكننى رجل واع ومتفهم ، سمعت كل كلمة قالها ، وعرفت أنه جاء من مستقبلنا ومعه (ثيغما) ، كى نستعرض قوتنا أمام

المؤتمر غدًا ، فما حدث فى المستقبل بعد ثلاثين عامًا من اليوم لم يكن جيدًا أبدًا..

وصمت قليلًا ، أشعل سيجارة أخرى ثم أكمل:

... المستقبل الذى جاء منه غارق فى حروب عجيبة ، هناك معارك طوال الوقت و(تركيا) لم تعد آمنة على الإطلاق! وكلّ هذا بسبب أسلحة سيتم الإعلان عنها فى مؤتمر الغد.. هى ستكون بداية الدمار الحقيقى للأرض ، لذا أراد الرجل أن ينهى الموضوع كليًا ، وأن يستعين بى ، لكن وبعد أن وافقت على تلبية بعض مطالبه شريطة أن يعطينى سرّ هذا السلاح ، استيقظ ضميره ربما أو أنه أراد التراجع ، أو ربما فكر بخطة أخرى.. لا أعرف ، هرب من (سيلجوق) وكأنه يبحث عن شيء يريد الوصول إليه ، بهذه الأثناء قمت بإعطائه بعض التعليمات ، لولا تدخلك الذى أحرّ الموضوع كثيرًا وجعلنى أفقد ابنى ، فقدته بسببك..

— كان يريد أن يقتلنى!

صرخ بغضب شديد وهو ينهض عن المقعد ، ويصفعنى بأقصى ما يملك من قوّة: — اخرس! كم أودّ لو أذبحك الآن لولا أنك لا تستحقّ الموت بسرعة ، أريدك أن تموت ببطء بينما تحترق من الداخل..

لم أهتم كثيرًا للألم ، لأننى بدأت أفهم!

هذا الوغد يريد أن أكون مع تلك القبيلة البيولوجية ، مع الزجاجة ، مع (ثيلما) باللحظات الأخيرة قبل الانفجار وانطلاق الوباء المحدود..

قال (شاهين):

— ماذا تريد أن نفعل الآن يا سيدى ؟!

دار فى الغرفة حول نفسه أكثر من مرّة ، وأشعل سيجارة أخرى رغم أن آخر سيجارة أشعلها ما تزال مشتعلة ، لكنه لم ينتبه لهذا وقال: — لا أريد أن يشكّ أحد بأى شيء ، انتبهوا جيدًا لما سيحصل غدًا ، ستكون هناك كاميرات موزعة مع رجالنا خارج نطاق الانفجار ، سنؤكد كل شيء على الجميع غدًا ، المهم الآن أننى أريد أن أجلس مع نفسى ، عندى اجتماع مهم مع بعض الوزراء بعد عدة ساعات ، فى (ساتان) ، ممن يعرفون بالأمر!

أفكر سريعًا ، ثمة وزراء على معرفة بما سيحصل.. وزراء يعملون لدى (توران) بالسرّ ، اشتراهم بأمواله التى تشتري دولًا بحالها ، لهذا كان يريد زجاجة (ثيلما) ، كى يريهم ويؤكد لهم جديته التامة فى الموضوع ، لهذا طلب من (سيلجوق) أن يتخلص من (أورهان)..

(أورهان) الذى لجأ للشخص الخطأ ، (أورهان) الذى لو كانت نظريات الزمن خاطئة ، سيكون الآن حيًّا فى مكان ما من (إسطنبول) ، لا يعلم أنه بعد ثلاثين سنة ، سيموت طعنًا فى وسط شارع الاستقلال!

بغته قفز سؤال من بين شفتيّ:

— هل فقد (أورهان) أشخاصًا فى الحروب تلك ، التى سيمرّ بها العالم بعد ثلاثين سنة ؟!

نظر إلىّ وقال:

— نعم ، كيف عرفت ؟!

— مجرد تخمين.. لن يلجأ إليك وهو يعلم أنك زعيم المافيا التركية ، إلا لأنه على الأغلب عجز عن إقناع السلطات..

هزّ رأسه:

— فقد زوجته وأبناءه فى تلك الحرب..

ثم اقترب منى وأخرج الزجاجة وقال وهو ينظر إليها:

— لكن ، لن يحصل أىّ من هذا ، لن تحصل تلك الحروب ولن يموت (سيلجوق) ولن يموت (أورهان) أيضًا ، بمجرد أن تنفجر هذه القنبلة غدًا فى المعرض..

عقدت حاجبيّ فى تساؤل ، وقلت:

— ماذا ؟!

قال بحماس شديد للغاية ، وقد انقلبت سحنته إلى التفاؤل والفرح والمشاعر الجياشة: — فكر بها جيدًا.. عندما تنفجر القنبلة غدًا سيحصل خلل فى الزمن ، لن تحصل تلك الحروب فى المستقبل ، لن تموت زوجة هذا الرجل وأبنائه ، لن يعود إلى هنا ليقتله (سيلجوق) ، مما يعنى أنه سيبقى حيًّا فى المستقبل ، و (سيلجوق) أيضًا لن يكون أمامك كى تقتله لأنك لن تراه أصلًا فى أىّ مكان ، سيكون معي ، لن أرسله كى يراقب (أورهان) ثم ليقتله! ببساطة لأنه لن يكون هناك (أورهان) فى زمننا الحالى!!

قالها وهو ينظر إلىّ وإلى (شاهين) ، ثم هزّ كتفى هذا الأخير وهو يسأله: —.. هل تفهمنى ؟!

— نعم يا سيدى ، بالتأكيد.. سنعود لنقطة الصفر ، أى أنّ هناك انفجار حصل فى (إسطنبول) ، وسيحصل معنا شيء أشبه بفقدان الذاكرة ، لكننا سنكون

فى المنطقة الوسط ، نحن نعرف ما حدث ، وبنفس الوقت هناك معلومات ناقصة..

قال وهو يشير بيديه:

— سنضرب عدة عصفير بحجر واحد ، سنقتل عشرات الآلاف غدًا ، لكننا بموتهم سنمنع حروبًا سيموت فيها الملايين بعد ثلاثين سنة ، وسنرى العالم كله من هو (توران باموق) ، ومن هم المافيا التركية ، وسيتوسّل إلينا الجميع كى لا نفعلها مجددًا!

مجددًا؟!

ما الذى تقوله؟!

— هل تملك المزيد من المواد التى تكوّن هذا القنبلة؟!

— لا ، ولكننى أملك أكبر مجموعة من العلماء فى العالم ، وسيجدون أو سيصنعون لى شيئًا يفعل مثلها تمامًا.. قريبًا أو قريبًا، لا يملكون خيارًا بالطبع..

تمت:

— أخشى أن تكون حروب المستقبل تلك ، بسببك أنت!

نظر إلىّ وشرّد ذهنه بعيدًا لدقائق ، قبل أن يبتسم ابتسامة واسعة مجنونة ويقول: — وقتها سأكون أنا وأسرّتى و(سيلجوق) فى أمان تام ، وسأكون راضيًا جدًّا عن أىّ حروب تقوم بسببى.. الآن وفى بعض مناطق (العراق) و(سوريا) ، ثمة عدد لا بأس به من الصراعات التى أمّولها بنفسى ، فقط كى أجنى المزيد من المال عبر بيع الأسلحة للمعارضة والجيش معًا.. هذه ألعاب سياسية لن تستطيع فهمها بسهولة يا عزيزى..

قبل أن أعلق بحرف واحد أشار للرجل الضخم ، وقال له بلهجة آمرة:

— (سارى) ، خذ الآن إلى الغرفة فى الخلف ، تعرف ما يجب أن تفعله..

وقف (توران) ليتحدث قليلًا مع (شاهين) ، بينما اتجه نحوى (سارى) وحملنى فجأة أنا والمقعد ، ما هذه القوّة بالضبط؟! قبل أن يأخذنى إلى غرفة خلفية ، صغيرة الحجم..

وضعتنى أنا والمقعد أرضًا ، ثم شمّر عن كفه..

نظرت إليه:

— لا شكّ أنّك تمزح..

لكنه لم يكن يمزح ، وبدأ يلکمنى لكمة وراء الأخرى على بطنى وصدرى ،
دون أن يقترب من وجهى ، لكمة فلكمة ، حتى فقدت الوعى من شدة الألم..
.. وأنا أصرخ!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توقفت الحافلة أمام باب الفندق ، وهبط منها جميع الركاب وعلى وجوههم
ابتسامة توحى بكمّ الاستمتاع الذى نالوه فى الرحلة ، وكَمّ التعب الذى
شعروا به أيضاً..

نزلت (ديالا) ومعها (كريم) ، وكان (منذر) هناك فى استقبالهم:
— أهلاً ، الحمد لله على السلامة..

ضحكت وهى تقول:

— يجب أن أقول لك ذلك بنفسى ، فأنت وصلت الآن ، الحمد لله على
سلامتك..

— عمو (منذر)..

هذه كانت من (كريم) ، الذى قفز نحو (منذر) ، لكى يحتضنه ويقبله من رأسه
، قبل أن يشير إليه أن يذهب إلى أحد الرجال القريبين منه من رجال المكتب:
— هذا (مازن) ، معه لعبة (سبايدرمان) جديدة لك..

نظر إلى أمه التى ابتسمت له وأشارت إليه أن يذهب للرجل ، ثم نظرت إلى
(منذر) وقالت فى جدية وصرامة: — حسناً ، ما الذى يحدث مع (سامر)
بالضبط ؟! لن أتحرّك من هنا خطوة واحدة قبل أن أعرف بالتفصيل..

زفر بقوة ، قبل أن يبدأ بالحديث ، ويخبرها بكلّ شىء يعرفه حتى هذه اللحظة
، وصولاً إلى أنّ (ديمترى) يحاول أن يتعقب مكان (سامر) بأى وسيلة ، وأنّه –
(سامر) – مع (توران) الآن ، وأنهما يجب أن يذهبا إلى فندق آخر ، خوفاً من
أن يكون رجال (توران) فى الطريق إلى هنا ، بعد أن عرفوا هوية (سامر)
بسرعة ، لا يعرفون كيف..

قبل أن تقول (ديالا) أى كلمة تعليقاً على ما قاله (منذر) ، قال وهو يشير إلى
الرجال بيده ، متجاهلاً انفعالات وجهها التى تشى بخوفها وقلقها وذعرها: —
المهم الآن أن نذهب للفندق ، سنحميه ونحرسك فلا تقلقي، وسيكون معك
فتاتان اسمهما (سارة) و(صفاء) فى الغرفة ، فى حال حصل أى شىء ، كى
نكون مطمئنين عليك أنت و(كريم) بشكل كامل..

— و(سامر) يا (منذر) !؟

أطلق تنهيدة عميقة ، وقال بحدّة:

— (سامر) بخير..

صعدت (ديالا) مع (سارة) إلى الأعلى كي تساعدتها فى الحقائق وتسجيل الخروج ، بينما جلس (منذر) فى السيارة ينتظر اتصالاً من (ديمتري).. مرّت دقائق قبل أن يتّصل (ديمتري) ويسأل: — ما الذى حدث ؟!

أخبره بشكل مقتضب بما حدث ثم سأله:

— هل حددت مكان (سامر) ؟!

— اختفى تمامًا عن الخريطة! حتى السيارة التى ركبها اختفت كلياً ، سأحاول البحث بطرق أخرى ، سأخترع وسيلة يا (منذر) لإيجاده ، صدّقنى..

انطلقت تنهيدة عميقة جدّاً ، وحارة ، من صدر (منذر) ، وهو يقول:

— أرجو هذا يا (ديمتري).. أرجو هذا..

ثم نظر إلى باب الفندق الذى كانتا (ديالا) و (سارة) قد خرجتا منه مع الحقائق ، وكان وجه (ديالا) يوحى بكم الأسئلة التى تعصف بجسدها وخيالها..
.. وكيانها كلّها!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اقترب (ديمتري) من البطريق ، وهو يمزغ بعض قطع البسكوت بصوت مرتفع ، قبل أن يسمع صوت دقات قوية على الباب..

— من ؟!

صوت صارم من خلف الباب:

— (قاسم) يا (ديمتري)..

أسرع نحو الباب وفتحه:

— أهلاً سيدى ، أهلاً..

دلف العميد (قاسم داود) إلى الشقة ونظر يميناً ويساراً ، لم يبد عليه الاستغراب من أىّ شىء ، ربما لأنه جاء هنا عشرات المرات من قبل..

— ما الذى حدث مع (سامر) حتى الآن ؟!

أخبره (ديمتري) بشكل سريع ملخص ما يعرفه حتى الآن ، ليقول العميد بعدها: — هل تعتقد أن السيارة داخل موقف خاص مثلاً ، ولذلك لم يستطع

(فابيو) الوصول إليها؟!

— نعم ، وحاولت أيضًا عن طريق الكاميرات فى الشارع ، لكننى وصلت إلى نهاية مسدودة.. سأحاول مجددًا وسأجد طريقة كى أعرف أين (سامر) وكى ينقذه (منذر)..

— أرجو هذا..

قالها وهو يشدّ قامته ، ثم انحنى للأمام قليلًا رافعًا حاجبيه ، وغادر المكان مع الرجل الذى جاء معه ، وكان ينتظر فى الخارج..

عاد (ديمتري) إلى البطريق ، ومدّ أصابعه يتحسس جلده وهو يقول:

— ساعدنى ، أريد وسيلة أجد فيها (سامر)..

بقى البطريق جامدًا كما هو فأردف:

—.. ألا تشناق لأن تكون مع جنس يشبهك؟! تخيل لو أننى أستطيع أن أجمعك مع بطاريق..

ثم سكت فجأة ، ولمعت عيناه..

لمعت عينا (ديمتري) ، بحماس ، بلهفة ، وأمل ، وهتف فى البطريق بقوة: — شكرًا لوجودك فى حياتى!

ثم اتجه نحو مقعده وأغمض عينيه وهو يزفر بقوة ، وبدأ حوارًا عقليًا طويلًا مع (فابيو)..

.. طويلًا جدًّا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

النهار..

النهار أخيرًا..

الضوء يقتحم النافذة بهدوء ، لأفتح عينيّ ، وأحاول تجاهل الآلام الهائلة التى أشعر بها.. الوغد ظلّ يلکمنى طوال الوقت ، كلّ نصف ساعة يلکمنى مجددًا ، فى النهاية وبعد أن فقدت الوعى عدة مرات ، أحضر لى شيئًا كى أكله ، بعض الخبز الجاف..

التهمته بنهم وكأنه وجبة شاورما لحم مشوى على الفحم! جوع وضرب كل نصف ساعة؟! هذا كثير جدًّا على..

لا شك أن (توران) و(شاهين) ذهبا إلى الاجتماع ، غابت أصواتهما ساعتين أمس فى الليل ، قبل أن أسمعهما من جديد.. ذهبا للاجتماع بالتأكيد ، وأخبرا الوزراء عن تفاصيل الخطة الحقيرة للمرة الأخيرة..

المشكلة أن هناك جزءًا جيدًا فيما سيحصل ، لكنه يجب ألا يحصل هكذا.. لو استطعت الفرار أو لو عرفت وسيلة لإيقاف ما ينويان عمله ، لا بد أن هناك حلاً ، لا بد أن هناك شيئًا يجب على أحد أن يفعله ليمنع تلك الجريمة الهائلة التى ستحصل خلال ساعة أو ساعتين ربما ، والتى سيموت فيها الكثير جدًا من الناس ، أنا منهم طبعًا ، و(كريم) و(ديالا)!!

إنهما هنا ، فى الفندق فى (إسطنبول) ، إلا لو كان المؤتمر يبعد أكثر من الفندق بعشرين كيلومترًا على الأقل.. لا أعرف ، لا أريد أن أعرف ، أريد فقط أن أكون متأكدًا أنهما بخير!

كيف ؟!

الهاتف مغلق منذ أمس ، أغلقه (شاهين) وربما تخلص منه ، لا يوجد أى وسيلة كى أتواصل مع (ديمترى) و(منذر).. ماذا يفعلان الآن ؟! هل يحاولان فعل أى شىء ؟! لا شك فى هذا ، هما خبيران محترقان وسيفعلان شيئًا..

أرجو هذا! يا رب!

فجأة قطع حبل أفكارى صوت الباب وهو يفتح ، (سارى) طبعًا ، الرجل الضخم ، حملنى مرة أخرى أنا والمقعد نحو غرفة المكتب ، كان هناك (شاهين) وبجانبه (توران) ، كان متأنقًا بشدة ، وكان يمسك بين يديه كأسًا صغيرة فيه مشروب أصفر ، خمر بالتأكيد ، هذا يكمل الصورة بشكل ممل..

— (سامر) ، إنها المرة الأخيرة لك معنا!

قالها وهو يضحك ، قبل أن يرسم ملامح الجدية كلها على وجهه ويقول:

— بالمناسبة ، أعلم جيدًا أنك مع زوجتك وابنك! لكن وبعد أن درست الأمر جيدًا ؛ لن أرسل أحدًا ليقتلهم فى الفندق ولن أفوضك على شىء بشأنهما ، فأولًا تم نقلهما إلى فندق آخر فى (إسطنبول) ، والفندق محمى بحراسة مشددة جدًا ، وثانيًا وهو الطريف فى الأمر: الفندق الذى هما فيه الآن يبعد عدة كيلومترات عن مكان المؤتمر! أى أن الانفجار سيقضى عليك وعليهما وعلى الجميع كما أخبرتك ، كل من فى حدود العشرين كيلومترًا..

هتفت:

— ورجالك ؟! وعقاراتك التى هنا ؟!

ضحك ضحكة طويلة:

— بعث كل ما أملك في (إسطنبول) منذ فترة قريبة ، ورجالي كلهم سيكونون خارج نطاق الانفجار.. لا تقلق علىّ ، أعرف جيدًا ما الذي سأفعله..

ثم نظر إلى (شاهين) ، وأشار برأسه..

لا أدري بعدها كيف مرّ الوقت بسرعة ، ربما لأن المرء عندما يتمنى توقف الوقف يمرّ سريعًا رغم أنه.. كمموني وغطوا وجهي وأحكموا تقيدي جيدًا بشكل يمنعني كليًا من الحركة ، ثم شعرت بنفسى محمولًا ، هذا (ساري) بالتأكيد ، الذي رمانى فى الصندوق الخلفى لسيارة ما ، قبل أن تمشى السيارة فى عدة شوارع ، وتتوقف فى مكان لا أعلمه..

فتح الصندوق ، أخرجنى (ساري) ، نزع عني غطاء الوجه وأبقى فمى مكتمًا كما أبقى قيودى التى تربط يديّ وساقى.. الجو بارد ، نظرت حولي ، أنا فى مكان أشبه بموقف سيارات مهجور ، نعم ، هذا واضح ، لا يوجد أحد غيرى أنا و(شاهين) الذى يقف أمامى ومعه الزجاجة ، وبجانبه (ساري) الذى ألقى بى على الأرض ، ووقف منتظرًا لآى أوامر أخرى من (شاهين)..

قرّب هذا الأخير الزجاجة من فمه ، وهمس وهو ينظر إلى وجهى بابتسامة صفراء: — (كراولى)!

هذه هى الكلمة إدًا ، قالها فنظرت جيدًا إلى السائل ، يبدو أن بخارًا يخرج منه.. لقد فهمت (ثيلما) هذه الكلمة! إنها ذكية فعلاً كما قال (توران)! عبقرى هو (أورهان) ولكن كان يجب أن يخترع شيئًا آخر.. عبقرى ، لكنه دون أن يدري سيكون سببًا فى قتل عشرات أو مئات الآلاف خلال ساعة من الآن!

وضعها بجانبى فى حرص ، ثم قال:

— أى محاولة منك لرّجّها أو خصّها أو كسرّها ستبوء بالفشل ، كما أنها ستسرّع من العملية أكثر ، لا أنصحك بفعل أى شىء..

قالها ثم ركب بالسيارة هو و(ساري) ، وغادرا المكان بأقصى سرعة ، بينما نظرت أنا إلى الزجاجة دون أن يخطر فى بالى شىء ، إلا فكرة واحدة: سأموت..

.. ستكون هنا نهايتى!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تجاهل (منذر) اتصالات (ديالا) المتتالية ، وقال وهو يركب السيارة ، ممسكًا الهاتف بيده: — نعم يا (ديمترى) ، ما الذى حدث ؟!

أتاه صوت (ديمتري) مشرقًا كالشمس التي منحتة شعورًا جميلًا في هذا الجو:
— اسمعنى جيدًا ؛ أنت تعلم أن (سامر) اختبأ في مستودع مهجور بعد أن قتل
(سيلجوق) ، وأنه وقبل وصول الشرطة إليه مباشرة أرسلت شعاعًا
كهرومغناطيسيًا بمعاونة (فايو) كي تخفى جسده فحسب ، وأن هذا الأمر نجح
، فلم يره الشرطى ، وغادر المكان سريعًا..

قال (منذر) بنفاد صبر:

— نعم ، قلت لى هذا..

أكمل (ديمتري) بكل حماس:

— عندما فعل (فايو) هذا كان الشعاع الشفاف محيطًا لجسد (سامر) من كل
الجهات ، وفى هذه اللحظة كان قد حلل جسده والتقط إشارته الجينية..

— إشارته الجينية ؟!

— نعم ، دعنى أشبه الأمر لك بإذاعات الراديو.. لكل جسد إشارة جينية خاصة
به ، لها ترددها الخاص ، و..

قاطعه (منذر):

— هل تقصد أنك تستطيع تتبع إشارة (سامر) الجينية والتي التقطها الشعاع ؟!
صمت قليلًا ثم قال:

— نعم ، بالضبط.. شىء كهذا وإن كان أكثر تعقيدًا بقليل ، لكنك قلت الخلاصة
، تمامًا..

— رائع ، هل فعلت هذا الشىء ؟! هل فعلت النظام ؟!

— نعم ، وقد وجدت (سامر) منذ دقيقة واحدة فحسب..

هتف (منذر) بكل حماس وحزم وهو يدير مقود السيارة وينطلق بأقصى
سرعة: — أين ؟!

— سأبعث لك الموقع الآن ، المشكلة أن (سامر) يبدو ثابتًا لا يتحرك.. أخشى
أن يكونوا قد قتلوه!

— لا ، لا تقل هذا.. سأجده حيًا وسأنقذه بإذن الله ، وسأخبرك بما يحصل
معى..

— وأنا سأقول للسيد (قاسم) أن يقول للسلطات التركية عن الخطر
المحتمل ، وعن الذى سيفعله (توران) فيهم خلال مؤتمر السلاح.. لا أعرف ما

الذى يحدث بالضبط لكن من الواضح أنَّ هناك شيئًا خطيرًا سيحدث ، (سامر) هناك ، فى الموقف الذى تحت القاعة التى يُقام فيها المؤتمر يا (منذر).. يبدو أن انفجارًا سيحدث وسيكون المؤتمر هو المركز ، هو نقطة الصفر ، هو البداية للنهاية.. لا نعرف أى شىء ، ولذا عليك أن تبقى متصلًا بى وأنت هناك عندما ترى (سامر)..

— حسنًا..

ثمَّ أنهى الاتصال وأرسل له (ديمتري) خريطة الموقع ، جيد جدًا ، الموقع ليس بعيدًا عنه ، زاد من سرعة السيارة وبدأ يمرُّ بين السيارات بمهارة..

.. المهمَّ أن يصل (سامر) قبل حصول أى شىء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استرخى (توران) فى مقعد سيارة المرسيدس الحديثة وهو ينظر إلى الرجال الذين يغادرون المبنى معه.. كلهم ركبوا فى السيارات ومشوا خلفه بينما يسير هو متقدمًا الموكب ، يقود (سارى) السيارة متوجِّهًا نحو بيت (توران) على حدود (إسطنبول)..

جاءه اتصال من (شاهين) فأجابه فورًا:

— نعم يا (شاهين)..

أتاه صوت (شاهين) ، الذى يشرف بنفسه على بعض الكاميرات التى تصوِّر ما سيحدث من فوق مبنى كبير ، يطل على كل (إسطنبول): — تستطيع الآن أن ترى البث بوضوح يا سيد (توران) ، سنسجِّل الحدث بعدة كاميرات كى ننشره فى كل العالم..

— حسنًا ، جيد..

أنهى الاتصال وفتح الرابط الذى أرسله (شاهين) له ، المشهد من الأعلى ، الكاميرا تصوِّر كل (إسطنبول) فعلاً ، والمدينة هادئة للغاية لا يعرف سكَّانها ما هو على وشك أن يحصل ، خلال دقائق سيتغيَّر هذا الأمر ، وستنفجر سحابة هائلة من الشظايا والأشلاء والدماء.. لن يكون مشهدًا جميلًا ، ولكن الكاميرات ستجعله جميلًا حتمًا!

أخذ يتابع الفيديو بشغف ، ناظرًا كل ثوانٍ إلى ساعة يده ، منتظرًا بأى لحظة دوى الانفجارات المتتالية ، التى ستَهزُّ (ترَكيا) كلها ، والعالم بأسره!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وأنا لا أعرف شيئًا عن هذا كَلِّه ، ملقى على الأرض ، عاجز عن عمل أيِّ تصرف ، مع كلِّ هذه القيود المحكمة.. حاولت أكثر من مرة دون جدوى ، (سارى) جيّد فيما يفعله!

(ثيلما) ، القنبلة البيولوجية ، على بعد مترين منى ، لن أحاول فعل شيء معها لأننى قلق من أن يكون (شاهين) صادقًا ، وقتها سأعجل بالنتائج أكثر وهذا ليس من مصلحة أحد..

أين (ديالا) الآن ؟!

فى الفندق مع (كريم) و(منذر) ؟!

نعم بالتأكيد (منذر) معهما ما دام أخبرنى (توران) إنهما نقلا إلى فندق جديد..

أين (ديمترى) ؟! ما الذى يفعله ؟!

فجأة سمعت صوت سيارة يقترب منى ، بصعوبة حرّكت جسدى ووجدت أجمل منظر يمكن لى أن أراه فى حياتى..

(منذر) يقود السيارة بأقصى سرعة ، أوقفها بجانبى وهبط منها على الفور قبل حتى أن تتوقف نحوى ، أشهر مسدسه يمينًا ويسارًا احتياطيًا لئلا يكون هناك أحد من رجال (توران) ، أصدرت صوتًا عاليًا من حلقى فاقترب سريعًا ثم نزع الكمامة من فوق فمى ، فأخذت شهيقًا عميقًا بينما سألتنى بقلق وهو يضع يده على كتفى: — هل أنت بخير ؟!

— بخير ، بخير.. فك قيودى يا (منذر) ، بسرعة..

قلتها وبدأ فورًا يشق قيودى ، أخرج سكينًا صغيرة جدًّا من سلسلة مفاتيحه وبدأ بسرعة وحزم يمزق القيود ، تحررت اليد الأولى فالثانية ، ثم قيود الساقين.. أخيرًا..

نهضت ووقفت على قدميَّ ، شعور الحرية الجميل ، شعور التخلص من تلك القيود ومن العجز الكامل الذى رافقنى منذ الأمس وحتى اليوم!

— القنبلة يا (منذر)..

قلتها وأنا أمسك الزجاجة وأحملها فى يدي ، كان السائل يغلى فى الداخل ، يغلى وفيه الكثير من الفقاعات ، والزجاجة لا أعرف كيف ، صارت فجأة ثقيلة الوزن! ربما أكثر من كيلوجرامين..

— ماذا سنفعل ؟!

— لا أعرف ، اتصل مع (ديمترى) سريعًا..

اتصل معه مباشرة ، وفور أن سمعت صوت (ديمتري) يجيب الاتصال بادرته بالقول بأسرع ما عندي: — لا يوجد وقت يا (ديمتري) ، الزجاجة التي معي ذكية وقد قال (شاهين) مساعد (توران) لها كلمة ، فتفعلت ، وهذا منذ ساعة تقريبًا.. القنبلة ربما تنفجر خلال دقائق..

— ماذا سيحدث لو انفجرت يا (سامر)؟! ما مدى قوتها بالضبط؟! هل أخبروك؟!

— سيتمّ تدمير كل شيء ، وموت كل شخص ، في حدود عشرين كيلومترًا من حولنا!

شهق (منذر) بالتزامن مع (ديمتري) ، قبل أن يقول هذا الأخير بعد أن صمت لعدّة ثوانٍ: — (سامر) ، اخرج بها للشارع سريعًا..

— بالزجاجة؟!

— نعم ، للشارع.. الآن..

— ماذا ستفعل؟!

— سأحاول إنقاذ الموقف..

أمسكتها بين يدي بحرص شديد ، وركبت بجانب (منذر) في السيارة وأنا أخبره بما قاله (شاهين) عن تحريكها بسرعة أو رجّها وخصّها.. قاد السيارة حتى وصلنا الشارع ، الكثير من الناس والزحام ، والكثير من سيارات الشرطة ، ابتعدنا قليلًا عن الجمع ، هذه ساحة كبيرة ، نزلت وهي بيدي اليسرى ، أمسكها بكل قلق وتوتر وتردد..

أنا أمسك بين يديّ بزجاجة ، لا يعرف أيّ أحد من حولى أنها سيلاحق رهيّب ، سيقوم بقتل عشرات الآلاف خلال دقائق ، ما لم يجد (ديمتري) حلاً!

— معي يا (سامر)؟!

قلت ببطء:

— نعم ، معك؟!

— ضعها على الأرض..

وضعتها ، بينما أكمل:

—.. ابتعد عنها قليلًا الآن ، بسرعة..

ابتعدت أنا و (منذر) إلى الخلف عدة أمتار ، قبل أن يحدث فجأة شيء غريب ومخيف ، خلال ثوانٍ معدودة..

ازداد الغليان أكثر في الزجاجة ، وبدأت تخرج أصوات متتابة كصوت فقاعات تنفجر ، أصوات تعلو تصاعديًا من الداخل ، ثم بدأت الزجاجة بالتحرك والاهتزاز ببطء من تلقاء نفسها..
فجأة سقطت على جانبها ، وقبل أن أصرخ ، وقبل أن أهتف بأى كلمة وأى حرف..

.. انفجرت!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فجأة شعرت (ديالا) بصدرها ينقبض من الداخل..
نظرت إلى (كريم) النائم بعمق حتى الآن وقد انتصفت الشمس في السماء ، ونظرت إلى التلفاز مجددًا..

مؤتمر صناعة السلام ما يزال قائمًا ، الكثير من اللقاءات ، الكثير من التصوير ، الكثير من الشخصيات المهمة والوزراء والمشاهير في الحفل ، لا شك أنه في غاية الأهمية..

كانت قلقة للغاية ، (منذر) يتجاهل اتصالاتها ، (ديمترى) يتجاهل اتصالاتها..

ما يزال هاتف (سامر) مغلقًا حتى الآن!

هل (سامر) هنا في هذا المؤتمر؟!

هل عندما سألت (منذر) عن المؤتمر ولم يجبها ، كان هذا لأن (سامر) على علاقة بشيء ما يحصل معه فيه؟!

حتى العميد (قاسم داود) والذي معها رقمه الخاص ، والذي قال لها (سامر) ألا تتصل به إلا للضرورة القصوى ، اتصلت به عدة مرات ولم يجبها أيضًا!

لماذا؟!

هل مات (سامر) ولا يريد أحد أن يخبرنى بذلك؟!

.. تفجر هذا السؤال في أعماقها قبل أن تنفجر عيونها بالبكاء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أغمضت عينيّ في استسلام وأنا أصرخ ، لكن..

لم يحدث شيء!

انفجرت الزجاجة ، وتناثرت شظاياها فى دائرة نصف قطرها متر واحد فقط ،
وكان هناك حاجزًا مرئيًا يمنع أى شىء من الخروج..

أنقذت الموقف يا (ديمتري)..

أنقذتنا يا (ديمتري)..

أنت و (فابيو) ، أنقذتما (إسطنبول) من مجزرة مأساوية ، لم ير العالم مثلها
منذ سنوات طويلة للغاية..

أطلقت تنهيدة عميقة وأنا أتهاوى على الأرض ، بينما انتبه البعض إلى ما
يجرى واقتربوا منا ، محاولين فهم ما يحدث حول الزجاجة ، وكل هذا الغبار أو
الدخان الذى يبدو محبوبسًا فى قلب أسطوانة لا يتجاوز نصف قطرها مترًا
واحدًا ، فى الهواء..

فى هذه الأثناء لم أكن أعرف أنّ (توران) كان ينظر فى ساعته بغضب ،
ويصرخ ، وهو مع (شاهين) فى البيت: — لم تنفجر يا (شاهين).. لم تنفجر..

صمت (شاهين) تمامًا ولم ينطق بحرف ، بينما قال (توران) وهو يتابع صراخه
وصياحه فى ثورة: — لا شك أن أحدًا قام بإنقاذ (سامر) ، وقاما بعدها بوسيلة
ما باحتواء قوة انفجار (ثيلما).. لا أدري كيف ولكن هذا حصل، مرّت أكثر من
ساعة.. لا يمكن أن يكون (أورهان) مخطئًا، القنبلة انفجرت كما هو مخطط
لها ولكن ثمة من احتواها..

وصرخ بقوة وشراسة أكبر:

— اقتلوهم يا (شاهين)! اقتلوهم!

— لن تقتلوا أحدًا..

انطلق الصوت من خلفه فالتفت بحركة حادة مستفسرًا وعلى وجهه كل
علامات الغضب ، كان هناك رجل أسود البشرة ويرتدى منظرًا أسود اللون
داخل البيت ، وكان بجانبه مجموعة من القوات الخاصة التركية ، كلهم
ملثمون ، وكلهم مسلحون ، والأسلحة كلها مصوّبة نحو صدره ورأسه ، ونحو
(شاهين)..

— ألا تعرفون من أنا؟! ما الذى تفعلونه هنا؟!

قالها بثقة شديدة وهو ينظر إليهم بلا مبالاة ، تحوّلت إلى فزع شديد حاول
إخفاءه عندما أجابه الرجل الأسود: — نحن من الاستخبارات التركية ، أنت قيد
الاعتقال بأمر مباشر من رئاسة الدولة ، لدينا معلومات مؤكدة عن ضلوعك
فى تفجير كان على وشك أن يتمّ قبل دقائق من الآن..

حاول (توران) أن يقول شيئًا ، حاول أن يعترض أو أن يهدّدهم لكنهم كانوا أقوياء وسريعي الحركة ، سرعان ما ضربوه بكعب أحد الأسلحة الرشاشة على مؤخرة رأسه هو و (شاهين) ليسقطا فاقدى الوعي ، وينطلق بهم الرجل الأسود والرجال الملتئمين فى سيارات سوداء معتمة ، نحو جهة مجهولة..

.. جهة رئاسية!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد نصف ساعة كانت (ديالا) عندى مع (كريم)..

اللقاء كان مشحونًا بالعاطفة والحب واللهفة ، اطمأنت كثيرًا على صحّتى وحالى وسألتنى ألف مرة عن الكدمات التى على وجهى وجسدى كله..

الألم شديد ، الألم فى كل موضع يبطنى وصدري ، على الأغلب ثمة ضلع مكسور أو أكثر.. لكن هذا لا يهمّ ، المهم أننا بخير ، كلنا ، وأن هذا الانفجار اللعين لم يحصل ، بعد أن احتواه العبقري الخاص بنا ، (ديمتري) الجميل ، سأشكره بطريقتى ، هذا الذى أثبت أن الفيزياء الكيميائية قادرة على هزيمة القنابل البيولوجية القادمة من المستقبل..

سيارة الإسعاف بجانبى ، والطبيب يفحصنى.. نظرت (ديالا) إلىّ وقالت:

— الحمد لله على سلامتك ، المهم أنك بخير..

ابتسمت فى وجهها وقلت:

— بقى شىء واحد..

— لا تقل شيئًا ، انتهينا..

نهضت أمام عينيها المندهشتين المتسائلتين ، وقلت:

— بل بقى شىء واحد فقط ، خلال نصف ساعة سأتيك.. انتظرينى..

طلبت من (منذر) مفتاح السيارة ولكنه أصرّ أن يقودها لأننى متعب ولن أقود كما يجب ، وافقت ، بينما هتفت (ديالا): — إلى أين ستذهب ؟!

— إلى صديق لا بدّ من زيارته..

قاد (منذر) السيارة نحو المكان الذى طلبت من (ديمتري) أن يبحث لى عنه ، حتى وصلنا..

بيت بسيط من طابقين ، نزلت من السيارة ومشيت حتى الباب، وطرقته..

فتح لى الباب شاب وسألنى عما أريد ، ابتسمت فى وجهه وقد أيقنت أن نظرتى كانت صحيحة..

هذا هو أمامى ، (أورهان أوزرلى) ، شاب لم يمت بعد ، ولا يعرف أنه بعد ثلاثين عامًا سوف يموت هنا فى هذا الزمن ، قبل يومين من الآن.. كيف أخبره أنه مات قبل أمس ؟!

بصعوبة شديدة أقنعت أنه أجلس معه بعض الدقائق ، ثم أخبرته عن (ثيلما) ، وكلمة السر (كراولى) ، وعن (توران) ، وعن موته وانتقامى من (سيلجوق) الذى قتله.. قلت له كل شيء وفاجئى: هو معجب جدًا بزعيم المافيا التركية ويرى فيه رجلًا صالحًا ، كما أنه يقرأ الكثير من الروايات ، وقد مرت عليه هذه الكلمة ، (ثيلما) ؛ أكثر من مرة ، و(كراولى) اسم ساحر شهير جدًا.. لا شك وبشكل أو بآخر ، أن ثقافته دخلت رغم أنفه فيما يفعله من صناعة وإنتاج..

سمعنى وسمع كل ما قلت له ، وقال إنه بدأ منذ أيام بالعمل على سلاح بيولوجى جديد ، يشبه جدًا ما قام بتطويره بعد ثلاثين عامًا من الآن! — لا شك أنه تطوير متعدد المراحل لما أقوم به الآن..

تفهمنى ، ووعد بأنه سيركز جهده فى الأيام والأعوام القادمة على صناعة أشياء ، من شأنها منع أى حروب ستقوم فى المستقبل ، بعد عشرة أعوام أو ثلاثين عامًا.. كما أنه مهما حدث معه لن يعود من المستقبل للماضى ، لن يكرر ما حدث مجددًا!

سألته بفضول:

— ما الذى تعتقد أنه سيحصل الآن ؟!

— بماذا ؟!

— بكل شيء ، (توران) و (شاهين) ومن معهم فى السجن ، أنت حى ترزق ولن تعود من المستقبل للماضى لأنك أصلًا لن تكمل صناعة (ثيلما) ، مما يعنى أن (سيلجوق) سيعود وأن كل ما حدث لن يحدث! كيف ما زلت مستمرًا بالحديث معك ؟! كيف وقد انته..

فجأة صدر صوت ضجيج مرتفع للغاية!

فجأة أظلمت الدنيا أمامى ودار رأسى بشكل غريب جدًا ، ما هذا ؟! ما الذى يحصل ؟!

دوار.. دوار.. أشعر أننى سأفقد الوعى ، لا ، أرجوك ، فقدت الوعى كثيرًا هذه الفترة..

فجأة وجدت أنني فى شارع (الاستقلال) ، أجلس على المقعد بمواجهة (كريم) و (ديالا)..

غريب!

لماذا تبدو الرؤية مشوشة حتى هذا الحد؟!

لماذا أشعر بجفاف فى ريقى وفمى؟!

— هل هناك شىء يا (سامر)؟!

سألتنى (ديالا) ، نظرت فى وجهها ، نحن فى ذلك المطعم الذى اخترناه دون معرفة سابقة.. اخترناه فقط لأنه مَزْدحم بالناس ، ووجدنا بصعوبة طاولة عند الشرفة ، فى الطابق الثانى ، مطلة على الشارع ، وتكشف الكثير مما يدور بالأسفل..

نعم ، طلبنا بعض الأطباق التى لا نعرفها ، فما فائدة أن نكون فى بلد غريب عنا بكل شىء ، وأن نطلب منه صنفاً نعرفه ونكاد نملّ منه فى بلدنا؟!

ليس هناك أجمل من تجربة طعم جديد ومختلف!

لحظة ؛ لماذا يبدو هذا مكرّراً ، لسبب لا أعرفه؟!

غريب!

— (سامر)؟!

كّررت ذكر اسمى بصوت أعلى ، ابتسمت وقلت بهدوء:

— لا ، لا شىء..

قالت بارتياح وهى تدس لقمة من الطعام فى فم (كريم):

— لا تنسى ، هذه الرحلة خاصة بنا ، لن يكون لك هنا أىّ عمل متعلق بك..

— نعم ، نعم ، بالتأكيد..

فجأة رن هاتفى ، هذا (ديمتري) ، أجبت الاتصال:

— نعم يا (ديمتري)..

— الحمد لله على سلامتك ، كيف (إسطنبول)؟!

— بخير ، نحن فى شارع (الاستقلال) الآن.. هل هناك شىء بشأن العمل؟! أنا فى رحلة عائلية الآن ، أرجو ألا يكون لديك أى شىء بشأن الإدارة يا (ديمتري)..

قال:

— هو فقط سؤال واحد يا (سامر)..

تنهّدت وأنا أغمز بعيني لزوجتي ، وقلت:

— تفضل..

— هل مر عليك اسم (توران باموق) قبل اليوم؟!

أدرت الاسم في رأسي ، الاسم تركى جدًّا ، لم أسمع به من قبل.. من هذا الرجل الذى تسألنى عنه الآن يا (ديمتري)..

وكأنّ هذا وقتك!

— لا ، من هو؟!

— إنه زعيم المافيا المنظمة فى (تركيا)..

قلت بنفاد صبر متجاهلاً نظرات اللوم من (ديالا):

— وما شأنى به؟!

— فقط أردت أن أسألك عنه ، لمع الاسم فجأة فى ذاكرتى عندما استيقظت من نومي قبل قليل ، وشعرت أننا نعرفه ، الغريب أن (منذر) يقول إنه يعرفه..

— ربما ذكره أحدهم أمامكم مرّة..

غمغم:

— مممم! ربما.. المهم الآن أننى أعتذر عن الإزعاج ، أبلغ سلامى لزوجتك وابنك ، استمتعوا.. سلام..

وأنهى الاتصال..

نظرت إلى (ديالا) وقلت:

— حسناً ، سأغلق هاتفى حتى نهاية الرحلة..

وانهمكت فى تناول الطعام ، وأنا أنظر نحو الناس ، والزوّار ، والزحام ، والمقاهى ، والمتاجر بكافة أشكالها وأنواعها ، وبأولئك الموهوبين الذين يغنون أو يعزفون أو يرقصون على جوانب الطريق لكسب بعض المال..

نظرت إلى (ديالا) و (كريم)..

ستكون رحلة ممتعة..

.. ولن يحصل فيها أى شىء على الإطلاق!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



متميزون للكتب النصية



Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القناة

الفهرس..

مقدّمة

١ قيل السفر..

٢ مواجهة..

٣ جريمة قتل..

٤ (سيلجوق توران)..

٥ المزيد من الغموض..

٦ بلا أثر..

٧ مواجهة..

٨ (أورهان)..